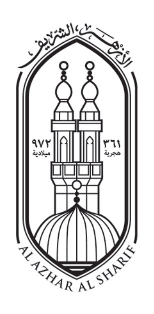
الأزهر الشريف

قطاع المعاهد الأزهرية



تيسير تَفسير النسفي

جزء الذاريات

للصف الثالث الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ

٢٠٢٠ - ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء الذاريات» المقرر على الصف الثالث الثانوي، توخّينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

١ ـ تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة.

٢ ـ حذف القراءات غير المتواترة، والتي لا يتعلق بها المعنى.

٣ ـ عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.

٤ ـ تخريج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.

٥ ـ استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.

٦ ـ ذكر الدروس المستفادة من السورة.

٧ ـ إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.

والله نسأل أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيل الثواب، وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف



أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

١ ـ يعرف مقاصد سور جزء الذاريات، وما اشتملت عليه من موضوعات.

٢ ـ يعرف معاني المفردات الغامضة.

٣ ـ يقف على التفسير التحليلي للآيات.

٤ ـ يقف على أوجه الإعراب.

٥ ـ يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن من خلال سور جزء الذاريات.

٦ ـ أن يدرك الطالب عظمة المنهج القرآني في هداية الفرد وحماية المجتمع.

٧ ـ يستنبط الدروس المستفادة من السور.

❊ ❊ ❊

سورة الذاريات

(مكية[1] وهي: ستون آية)

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧﴾

البعث حق:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح؛ لأنَّها تذرو التراب وغيره، والواو للقسم، والذاريات مُقْسَم به ﴿ذَرۡوٗا﴾ مصدر (مفعول مطلق) منصوب، والعامل فيه اسم الفاعل (الذاريات) ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾ السحاب لأنها تحمل المطر ﴿وِقۡرٗا﴾ أي: ثقلًا من الماء، وهو مفعول الحاملات ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾ الفلك ﴿يُسۡرٗا﴾ جريًا ذا يسر، أي: ذا سهولة ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ الملائكة؛ لأنها تقسم الأمور من الأمطار، والأرزاق، وغيرهما، أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك، أو تتولى تقسيم أمر العباد، فجبريل للوحي، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ في الصور، ويجوز أن يُراد بالذاريات الرياح لا غير؛ لأنها تنشئ السحاب، وتُقِلُّه، وتصرفه، وتجري في الجوّ جريًا سهلًا، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جواب القسم، و«ما» موصولة، (أي: الذي توعدونه)، أو مصدرية، (أي: وَعْدكم)، والموعود البعث ﴿لَصَادِقٞ﴾ وعد صادق، وصف الوعد بالصدق مبالغة، كعيشةٍ راضيةٍ، أي: ذات رضا ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء على الأعمال ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ لكائن ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هذا قسم آخر ﴿ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ الطرائق الحسنة، مثل: ما يظهر على الماء من هبوب الريح، وكذلك حبك الشعر: آثار تَثَنِّيه وتكسره،

---

(١) أي نزلت قبل الهجرة على الراجح من أقوال العلماء.



﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

جمع حَبِيكَة، كطريقة وطرق، وعن الحسن: حُبُكُهَا نجومها، جمع حباك ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ أي: قولهم في الرسول: ساحر، وشاعر، ومجنون، وفي القرآن: سحر، وشعر، وأساطير الأولين ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ الضمير للقرآن، أو الرسول ﷺ، أي: يُصْرَفُ عنه من صرف، الصَّرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم، أو يُصْرَفُ عنه مَنْ صُرِف في سابق علم الله تعالى، أي: علم فيما لم يزل أنه مصروف عن الحق لا يؤمن، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ ومنهم جاحد، ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك ﴿ قُتِلَ ﴾ لعن، وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ﴿ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ الكذابون المقدِّرون ما لا يصح، وهم أصحاب القول المختلف ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ﴾ في جهل يغمرهم ﴿ سَاهُونَ ﴾ غافلون عما أُمروا به ﴿ يَسْـَٔلُونَ ﴾ فيقولون ـ تهكما واستبعادًا واستهزاءً ـ ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي: متى يوم الجزاء، وتقديره: أيان وقوع يوم الدين؛ وانتصب اليوم الواقع في جواب الشرط بفعل مضمر دل عليه السؤال أي: يقع ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يفتنون: يحرقون ويعذبون ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي: تقول لهم خزنة النار: ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار ﴿ هَٰذَا ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ ٱلَّذِى ﴾ أي: هذا العذاب هو الذي ﴿ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ في الدنيا بقولكم ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف . الآية: ٧٠

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

جزاء المتقين وصفاتهم:

ثم ذكر حال المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ أي: العيون جمع عَيْن والمراد: ينابيع الماء في الجنة بحيث يرونها، وتقع عليها أبصارهم، لا أنهم فيها ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب، راضين به، وآخذين حال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ قبل دخول الجنة في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴾ قد أحسنوا أعمالهم، وتفسير إحسانهم ما بعده ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ينامون، و«ما» مزيدة للتوكيد[1]، و﴿ يَهْجَعُونَ ﴾ خبر ﴿ كَانَ ﴾ والمعنى: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل، أو مصدرية، والتقدير: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم، ولا يجوز أن تكون «ما» نافية، على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلًا ويقومونه كله ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين، فإذا أسْحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم فهم يكثرون الاستغفار منها، والسَّحر: السدس الأخير من الليل ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ ﴾ لمن يسأل لحاجته ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ أي: الذي يتعرض للحرمان ولا يسأل الناس حياء ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ تدل على الصانع، وقدرته، وحكمته، وتدبيره؛ حيث هي مبسوطة لما فوقها، وفيها المسالك والطرق للمتقلبين فيها، وهي مُجَزَّأة؛ فمن سهل، ومن جبل، وصلبة، ورخوة، وطيبة التربة، ومالحة التربة، وفيها عيون متفجرة، ومعادن عجيبة، ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال، متباينة الهيئات والأفعال ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ للموحدين، الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني

---

(١) المراد زيادة إعراب لا زيادة معنى لأن كل حرف في القرآن له معنى علمه من علمه وجهله من جهله.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

الموصّل إلى المعرفة، فهم ناظرون بعيون باصرة، وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا يقينًا على يقينهم ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ في حال خلقها وتنقلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها مِنْ عجائب الفَطْر وبدائع الخَلْق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها، ولطائفها من الآيات الساطعة، والبينات القاطعة على حكمة مدبرها، وصانعها، مع الأسماع، والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح وتيسرها لما خُلِقت له، وما سَوَّى في الأعضاء من المفاصل، للانعطاف، والتثني، فإنه إذا تيبس منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ تنظرون نظر من يعتبر ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي: المطر؛ لأنه سبب الأقوات[1]، وعن الحسن، أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرمونه بخطاياكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: الجنة، أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا، وما توعدونه في الآخرة، كله مقدور مكتوب في السماء.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعود إلى الرزق، أو إلى ما توعدون ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ قرأ (مِثْلُ) بالرفع حمزة والكسائي؛ على أنه صفة للحق، أي: حق مثل نطقكم، وقرأ غيرهم بالنصب، أي: إنه لحق حقًا مثل نطقكم، وعن الأَصْمَعي أنه قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أَعْرَابيٌّ على قَعُود، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت:

(١) وهذا من قبيل المجاز المرسل من إطلاق المسَبَّب وإرادة السبب.

من موضع يتلى فيه كلام الله، قال: اتل عليّ، فتلوت: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾، فلما بلغت قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته، فنحرها، ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وولى، فلما حججت مع الرشيد وطَفِقْتُ أَطُوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصْفَرَّ، فسلَّم عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾[1]، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله، مَنْ ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى حلف، قالها ثلاثًا، وخرجت معها نفسه.

ضيف إبراهيم:

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث، وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحي، ﴿حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الضيف للواحد والجماعة، كالصوم والزَّوْر بوزن الضيف، أي: الزائرون؛ لأَنَّه في الأصل مصدر، وجعلهم ضيفًا؛ لأَنَّهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم، أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ عند الله؛ لقوله تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾[2]، وقيل: خدمهم بنفسه، وأخدمهم امرأته، وعَجَّل لهم القِرى، وهو ما يقدم للضيف ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ نصب بـ ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ إذا فُسِّر بإكرام إبراهيم لهم، وإلا فبإضمار اذكر ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ مصدر سادٌّ مسد الفعل مستغنٍ به عنه، وأصله نسلم عليكم سلامًا ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ أي: عليكم سلام، فهو مرفوع على الابتداء، وخبره

(١) سورة الأعراف . الآية: ٤٤
(٢) سورة الأنبياء . الآية: ٢٦

﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ﴾

محذوف، والعدول إلى الرفع؛ للدلالة على إثبات السلام[1]، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حَيَّوه به، أخذًا بأدب الله، وهذا أيضًا من إكرامه لهم، ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم منكرون، فعرِّفوني من أنتم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المُضِيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقِرى: وهو ما يُقدَّم للضيف، من غير أن يشعر به الضيف، حذرًا من أن يمنعه، ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ ليأكلوا منه فلم يأكلوا ﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ أنكر عليهم ترك الأكل، أو حَثَّهم عليه ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ فأضمر ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ خوفًا؛ لأن من لم يأكل طعامك، لم يحفظ ذمامك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقع في نفسه أنهم ملائكة أُرسِلوا للعذاب ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنا رسل الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ أي: يبلغ ويعلم، والمبشر به إسحاق عند الجمهور ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ في صيحة، من صر القلم والباب، قال الزجاج: الصَّرَّةِ: شدة الصياح ههنا، ومحله النصب على الحال، والتقدير: فجاءت صَارَّة، وقيل: فأخذت في صياح، وصَرَّتُها قولها: يا ويلتا ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ فلطمت وجهها ببسط يديها[2]، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها، كما يفعل المتعجب ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ أي: أنا عجوز فكيف أَلِدُ؟! كما قالت ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾[3] ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ مثل ذلك الذي قلنا، وأخبرنا به ﴿قَالَ رَبُّكِۖ﴾

---

(١) لأن دلالة الجملة الاسمية أقوى وأوكد من الجملة الفعلية.
(٢) ولعل هذا كان غير ممنوع عندهم أما في شريعتنا فليس منا من لطم الخدود.
(٣) سورة هود . الآية: ٧٢.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: إنما نخبرك عن الله تعالى، والله قادر على ما تستبعدين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه شيء، ولما علم إبراهيم أنهم ملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلًا في بعض الأمور[1] ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾ أي: فما شأنكم؟ وما طلبكم؟ وفيم أُرسِلتم؟ ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أأُرسِلتم بالبشارة خاصة، أو لأمر آخر أو لهما معًا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ أي: قوم لوط ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ ويسمى السجيل: وهو طينٌ أُدخل النار حتى صار في صلابة الحجارة[2] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة، من السومة، وهي العلامة، على كل واحد منها اسم مَنْ يَهْلِك به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في ملكه وسلطانه[3] ﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ سماهم مسرفين كما سماهم عادين؛ لإسرافهم، وعدوانهم في عملهم، حيث لم يقتنعوا بما أُبيح لهم ﴿فَأَخۡرَجۡنَا[4] مَن كَانَ فِيهَا﴾ في القرية، ولم يجر لها ذكر، لكونها معلومة ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني لوطًا ومن آمن به ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أي: غير أهل بيت، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد؛ لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا[5] ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ﴾ في القرية أو في القصة ﴿ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم.

---

(١) في بعض الأمور المهمة فضلاً عن تبليغ الوحي.

(٢) وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ سورة هود . الآية: ٨٢.

(٣) وحكمة التصريح بذلك المزيد من الترهيب والوعيد.

(٤) العطف بالفاء للدلالة على سرعة الأمر، والفاء عاطفة على محذوفات ثقة بإدراك العقل لها ، أي : قاموا من عنده وجاءوا لوطا فجرى بينهم ما جرى من الكلام فباشروا ما أمروا به.

(٥) أو الآية تدل على أن الذوات التي ثبت لها الإيمان قد ثبت لها الإسلام .



﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾

الاتعاظ بهلاك المشركين السابقين:

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ ﴾ معطوف على ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ ﴾، أو على قوله: ﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ ﴾ على معنى: وجعلنا في موسى آية، كقوله: علفتها تبنًا وماء باردًا أي: وسقيتها ماء باردًا؛ حيث حذف الفعل للعلم به ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ بحجة ظاهرة، وهي: اليد، والعصا ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ فأعرض عن الإيمان ﴿ بِرُكۡنِهِۦ ﴾ بما كان يتقوى به من جنوده وملكه، والركن: ما يركن إليه الإنسان من مال وجند ﴿ وَقَالَ سَٰحِرٌ ﴾ أي: هو ساحر ﴿ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾ آتٍ بما يلام عليه من كفره وعناده، وإنَّما وُصف يونس عليه السلام به في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾[1]؛ لأنَّ موجبات اللوم تختلف، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فالكافر ملوم على مقدار كفره، ومرتكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ ﴾، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ هي التي لا خير فيها من إنشاء مطر، أو إلقاح شجر، وهي ريح الهلاك، واختلف فيها، والأظهر أنها الدَّبُور (بفتح الدال)؛ لقوله عليه السلام: «نصرت بالصَّبا[2] وأهلكت عاد بالدَّبُور[3]»[4] ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ هو كل ما رمَّ، أي: بلي وتفتت من عَظْم أو نبات أو غير ذلك، والمعنى: ما تترك من شيء هبَّت عليه من أنفسهم

---

(١) سورة الصافات . الآية: ١٤٢.
(٢) الصَّبا: ريح شرقية.
(٣) الدَّبور: ريح غربية.
(٤) رواه البخاري.

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾

وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[١] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ العذاب، وكل عذاب مهلك صاعقة[٢]، ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾؛ لأنها كانت نهارًا يعاينونها ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي: هرب، أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين من العذاب ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح؛ لأن ما قبله يدل عليه، أو واذكر قوم نوح، وقَرَأَ (قوم) بالجر أبو عمرو والكسائي وحمزة، أي: وفي قوم نوح آية ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ كافرين ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة[٣]، والأيد القوة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾[٤] أي: ذا القوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون من الوسع وهو الطاقة، والموسع القوي على الإنفاق، أو لموسعون ما بين السماء والأرض ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ بسطناها ومهدناها، وهي منصوبة بفعل مضمر، أي: فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحيوان[٥] ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى.

---

(١) سورة هود . الآية: ٦٥.

(٢) الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ثم يكون منه نار فقط، أو عذاب، أو موت، والصاعقة في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها كذا قال الراغب في المفردات ص ٢٨٩.

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة، وعليه فليس (أييد) جمع يد.

(٤) سورة ص . الآية: ١٧.

(٥) لابد من الإطلاق، والتفسير غير جيد ويميز فيما ثُبت لما بعده من كلام الحَسَنِ، والعلم الحديث يظهر ذلك في الكهرباء والذرة وغيرها وهي دليل على أحديته سبحانه، قوله من الحيوان ضرب مثال وإلا فالقول بالعموم أولى.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

وعن الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة، فعدَّدَ أشياء، وقال: كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فعلنا ذلك كله، من بناء السماء، وفرش الأرض، وخلق الأزواج؛ لتتذكروا فتعرفوا الخالق، وتعبدوه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: من الشرك إلى الإيمان بالله، أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، أو مما سواه إليه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ والتكرير للتوكيد، والإطالة في الوعيد أبلغ[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل تكذيب المشركين الرسول ﷺ وتسميته ساحرًا أو مجنونًا، ثم فسر ما أجمل بقوله: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ من قبل قومك ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ رموهم بالسحر، أو الجنون؛ لجهلهم ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ الضمير للقول، أي: أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول، حتى قالوه جميعًا متفقين عليه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به؛ لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحامل عليه ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادًا ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ﴿وَذَكِّرۡ﴾ وَعِظْ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأن تزيد في عملهم.

---

(١) أو: الأول لاتصاله بالأمر والثاني لاتصاله بالنهي.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾

العبادة هي المقصود الأعظم:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ العبادة إن حُمِلَت على حقيقتها، فلا تكون الآية عامة؛ بل المراد بها المؤمنون من الفريقين؛ دليله السياق، أعني ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنه إذا خلقهم للعبادة، وأراد منهم العبادة، فلا بد أن توجد منهم، فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾[1]، وقيل: إلا لآمرهم بالعبادة، وهو منقول عن علي رضي الله عنه؛ وقيل: إلا ليكونوا عبادًا لي، والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل عبادة في القرآن فهي توحيد، والكل يوحدونه في الآخرة؛ لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة، دليله قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[2].
نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم، ومن اشترى غلامًا وقال: ما اشتريته إلا للكتابة، كان صادقًا في قوله ما اشتريته إلا للكتابة، وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم، أو واحدًا من عبادي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ قال ثعلب: أن يطعموا عبادي وهي إضافة تخصيص ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الشديد القوة، والمتين بالرفع صفة لذو ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ رسول الله

---

(١) سورة الأعراف . الآية: ١٧٩ .
(٢) سورة الأنعام . الآية: ٢٣ .

﴿ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

بالتكذيب من أهل مكة ﴿ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ ﴾ نصيبًا من عذاب الله، مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المُهْلَكَة، قال الزجاج: الذَّنُوبُ في اللغة النَّصِيبُ ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ أي نزول العذاب، وهذا جواب النضر بن الحارث وأصحابه حين استعجلوا العذاب[1] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ أي: من يوم القيامة، وقيل: من يوم بدر، وقد نزل بهم العذاب الموعود يوم بدر، وهم في الآخرة أشد العذاب. والله أعلم.

* * *

(١) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ سورة المعارج . الآيتان: ١، ٢. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة الأنفال . الآية: ٣٢.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ استفهام للتشويق والتفخيم.

- في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾ استعارة؛ حيث استعار الركن للجنود؛ لأنَّ فرعون يتقوى بهم.

- في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ مجاز عقلي؛ حيث أطلق اسم الفاعل على اسم المفعول، والمعنى أنه ملام على طغيانه.

* * *

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ لله أن يقسم بما يشاء من خلقه، للفت الأنظار إلى بديع صنعه تعالى.

٢ ـ الجنة تنال برحمة الله تعالى وتتفاوت درجات أهلها بأعمالهم الصالحة.

٣ ـ إكرام الضيف من مكارم الأخلاق.

٤ ـ المقصود الأعظم من خلق الإنس والجن هو عبادة الله تعالى.

٥ ـ الرزق بيد الله تعالى لا غير.

٦ ـ اتخاذ العظة والعبرة من قصص السابقين.

❋ ❋ ❋



الأسئلة

س١: ما معنى: الذاريات؟ ولِمَ سُمِّيت بذلك؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾؟ وما نوع (ما) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾؟

س٢: لماذا أثبت القيامة وأكد الجزاء والحساب فيها بأسلوب القسم؟

س٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾؟ ولِمنْ الضمير في قوله تعالى: ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ ﴾؟ وما معناه؟

س٤: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾؟ وما إعراب ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ ﴾؟

س٥: وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾.

(ب) في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾.

(ج) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾.

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة الطور
(مكية وهي: تسع وأربعون آية)

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾

﴿وَٱلطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام[١] ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ هو القرآن، ونُكِّر؛ لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب، أو اللوح المحفوظ، أو التوراة ﴿فِي رَقّٖ﴾ هو الصحيفة، أو الجلد الذي يكتب فيه ﴿مَّنشُورٖ﴾ مفتوح لا ختم عليه ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ وهو بيت في السماء حيال الكعبة، وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة، رُوي أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ويخرجون، ثم لا يعودون إليه أبدًا[٢]؛ وقيل: الكعبة؛ لكونها معمورة بالحجاج والعمار ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ أي: السماء، أو العرش[٣] ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ المملوء، أو الموقد، والواو في ﴿وَٱلطُّورِ﴾ للقسم والبواقي للعطف، وجواب القسم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ أي: الذي أوعد الكفار به ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ لنازل، قال جبير بن مطعم: أتيت رسول الله ﷺ أُكَلِّمه في الأسارى، فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلما بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ أسلمت؛ خوفًا من أن ينزل العذاب[٤] ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ لا يمنعه مانع، والجملة صفة لـ «واقع»، أي: واقع غير مدفوع، والعامل في ﴿يَوۡمَ﴾، ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ أي: يقع في ذلك اليوم، أو اذكر

---

(١) وهو بأرض سيناء.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر، والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

(٣) والأول أولى لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

(٤) قال الحافظ ابن حجر لم أجده هكذا، والذي جاء في الصحيح «أن ذلك في صلاة المغرب» وأنه قال لما سمع ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ إلى آخره كاد قلبي يطير حاشية الكشاف ٤/ ٤٠٩ ط الريان.



﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾

﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ﴾ تدور كالرحى مضطربة ﴿ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾ في الهواء، كالسحاب؛ لأنها تصير هباء منثورًا ﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴾ أصل الخوض المشي في الماء، ثم غلب في الاندفاع في الباطل والكذب، ومنه قوله: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴾[1] ويبدل ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ من ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ﴾، والدَّعُّ: الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النار يَغُلُّون أيدي المكذبين إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزخًّا أَي: دفعًا في أقفيتهم، فيقال لهم: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ ﴾ ﴿ هَٰذَآ ﴾: مبتدأ، و﴿ سِحۡرٌ ﴾ خبره، يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر، أفسحر هذا؟ يريد أهذا الذي ترونه أيضًا سحرٌ؟ ﴿ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعني أم أنتم عُمي عن المخبر عنه، كما كنتم عميًا عن الخبر، وهذا تقريع وتهكم ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ خبر ﴿ سَوَآءٌ ﴾ محذوف، أي: سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه، وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع؛ لنفعه في العاقبة، بأن يجازي عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب، الذي هو الجزاء، ولا عاقبة له ولا منفعة، فلا مزية له عليه.

---

(١) سورة المدثر . الآية: ٤٥.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾

نعيم المتقين[1]:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ في أية جنات ﴿وَنَعِيمٍ﴾ وأي نعيم، بمعنى الكمال في الصفة، أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين، خلقت لهم خاصة ﴿فَٰكِهِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، والجار والمجرور في محل رفع خبر إن، والتقدير: إن المتقين استقروا في جنات ونعيم، حال كونهم متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وعطف قوله ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، أي: إن المتقين استقروا في جنات ووقاهم ربهم، أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على أن تجعل «ما» مصدرية، والمعنى فاكهين بإيتائهم ربهم، ووقايتهم ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا، أو طعامًا وشرابًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيص فيه ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ موصول بعضها ببعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ وَقَرَنَّاهم ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء ﴿عِينٍ﴾ عظام الأعين حسانها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ، و﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ خبره ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ قرأ: (وَأَتْبَعْنَٰهُمْ) أبو عمرو ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ أولادهم ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حال من الفاعل ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء، وإن قَصُرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء، وقيل: إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغًا يكون منهم الإيمان استدلالًا، وإنما تلقنوا منهم تقليدًا، فهم يلحقون بالآباء ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾

(١) شروع في ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين جمعا بين الترهيب والترغيب وبضدها تتمايز الأشياء.

﴿مِن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿مِن شَيْءٍ﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء، (مِن) الأولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة[1] ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون، فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتُجازى به.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ وزدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يطلبوا ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرًا، أي: يتعاطون ويتبادلون هم وجلساؤهم من أقربائهم، يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا ومعنى ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتجاذبون تجاذب مداعبة لا مغالبة ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يجري بينهم باطل، ولا ما فيه إثم، لو فعله فاعل في دار التكليف، من الكذب، والشتم، ونحوهما، كشاربي خمر الدنيا، لأن عقولهم ثابتة، فيتكلمون بالحِكَم والكلام الحسن ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ مملوكون لهم مخصوصون بهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من بياضهم وصفائهم ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصون في الصدف لم تنله الأيدي، أو مخزون؛ لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أرقاء القلوب من خشية الله، أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان، أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ هي: الريح الحارة التي تدخل المسام، فسميت

---

(١) أي زيادة إعراب لا زيادة معنى.

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾

بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ ﴾ من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يعنون في الدنيا ﴿ نَدۡعُوهُۖ ﴾ نعبده ولا نعبد غيره، ونسأله الوقاية ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ﴾ المحسن ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ العظيم الرحمة الذي إذا عُبِد أثاب، وإذا سُئِل أجاب.

﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ ﴾ برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل ﴿ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾ كما زعموا(١)، وهو في موضع الحال، والتقدير: لست كاهنًا ولا مجنونًا ملتبسًا بنعمة ربك ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾ هو ﴿ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾ حوادث الدهر، أي: ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة و﴿ أَمۡ ﴾ في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة، فتفيد الإضراب والاستفهام ﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم ﴾ عقولهم ﴿ بِهَٰذَآ ﴾ التناقض في القول، وهو قولهم: كاهن، وشاعر، مع قولهم: مجنون وكانت قريش يُدْعَون أهل الأحلام والنُّهي ﴿ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحدّ في العناد مع ظهور الحق لهم، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه

---

(١) وذلك مثل ما بين الله تعالى قولهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ سورة الحجر:٦.



﴿ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾

﴿ بَل ﴾ رد عليهم، أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمُتَقَوِّل؛ لعجز العرب عنه، وما محمد إلا واحد من العرب ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ ﴾ مختلق ﴿ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾ مثل القرآن ﴿ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن محمدًا تَقَوَّلَه من تلقاء نفسه؛ لأنه بلسانهم وهم فصحاء ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ ﴾ أم أحدثوا وقُدِّروا التقدير الذي عليه فطرْتهم ﴿ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ ﴾ من غير مُقَدِّر ﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؛ حيث لا يعبدون الخالق.

وقيل: أَخُلِقُوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب، أم هم الخالقون فلا يأتمرون ﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ ﴾ فلا يعبدون خالقها ﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ أي: لا يتدبرون في الآيات، فيعلموا خالقهم وخالق السماوات والأرض ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاءوا بما شاءوا ﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية، ويبنوا الأمور على مشيئتهم ﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ ﴾ منصوبٌ يرتقون به إلى السماء ﴿ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ ﴾ كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب، حتى يعلموا ما هو كائن مِنْ تَقَدُّم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون، قال الزَّجَّاج: يستمعون فيه، أي: عليه ﴿ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾ بحجة واضحة تصدق



﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ﴾

استماع مستمعهم ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ ثم سَفَّه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون، وهم حكماء عند أنفسهم ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على التبليغ والإنذار ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ المغْرَم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه، أي: لزمهم مغرم ثقيل، فزهدهم ذلك في اتباعك ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ما فيه حتى يقولوا لا نُبْعَث، وإن بُعثنا لم نُعَذَّب ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ ﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين رضي الله عنهم[1] ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إشارة إليهم، أو أريد بهم كل من كفر بالله[2] تعالى ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم، ويحيق بهم مكرهم، وذلك أنهم قُتلوا يوم بدر، أو المغلوبون في الكيد مِنْ كايدته فكِدتُّه ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ ﴾ والكسف: القطعة، وهو جواب قولهم: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾[3]، يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب ﴿مَّرْكُومٌ ﴾ قد رُكِم، أي: جمع بعضه على بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كِسَفٌ ساقط للعذاب ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ قرأ بضم الياء: عاصم وابن عامر.

وقرأ الباقون بفتح الياء (يَصعقون)، يقال: صعقه فصعق، وذلك عند النفخة الأولى، نفخة الصعق ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ﴾

---

(١) وهذا من إعجاز القرآن حيث أشار إلى أمر وقع بعد ذلك في قصة الهجرة.
(٢) والقول بالعموم أولى، ويدخل فيهم المذكورون دخولاً أولياً، ولذلك صرح بالاسم الظاهر دون الضمير.
(٣) سورة الإسراء . الآية: ٩٢.

﴿ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ظَلَمُوا۟﴾ وإن لهؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دون يوم القيامة، وهو القتل ببدر، والقحط سبع سنين[1]، وعذاب القبر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ:

ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، وبما يلحقك فيه من المشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ أي: بحيث نراك ونحفظك، وَجَمَعَ العين؛ لأنَّ الضمير بلفظ الجماعة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[2].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ للصلاة أو من كل مجلس[3]، وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك، أو من أي مكان قمت، أو من منامك ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل، والمراد الأمر بقول: سبحان الله وبحمده، في هذه الأوقات، وقيل: التسبيح: الصلاة إذا قام من نومه، ومن الليل صلاة العشاءين، المغرب والعشاء، وإدبار النجوم، صلاة الفجر، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) وقد وقع لأهل مكة بالفعل.
(٢) سورة طه. الآية: ٣٩، (عيني) عين: مفرد أضيف إلى ضمير الواحد (أعيننا) أعين: جمع أضيف إلى ضمير الجمع، ومن نظر بعين البصيرة علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم.
(٣) في سنن أبي داود والنسائي عن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» فسئل عن ذلك فقال: كفارة لما يكون في المجلس.

من الأسرار البلاغية:

ـ الإهانة والتوبيخ في قوله تعالى: ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ ﴾.

ـ في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ﴾ تهكُّم بهم.

ـ في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ تشبيه مرسل مجمل وهو تشبيه بليغ.

بعض ما يستفاد من الآيات:

١ ـ وقوع العذاب لا محالة بالكفار والمكذبين.

٢ ـ انتفاع الذرية المؤمنة بالعمل الصالح لآبائهم.

٣ ـ تسفيه عقول المشركين؛ لتكذيبهم رسول الله ﷺ.

٤ ـ الله تعالى يأمر نبيه ﷺ بالذكر في الليل والنهار والأمر لحضرته أمر لأمته من باب أولى.

* * *



الأسئلة

س١: ما معنى: الطور؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾؟ وما السقف المرفوع؟

س٢: ما إعراب قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ ﴾؟ وما معناه؟ و ما المراد بتسيير الجبال؟ وما معنى الدَّعّ في قوله تعالى: ﴿يُدَعُّونَ ﴾؟

س٣: ما إعراب قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾؟ وما معنى سرر؟ وما المراد بقوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾؟

س٤: وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴾.

س٥: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

* * *

سورة النجم

(مكية وهي: اثنتان وستون آية)

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾

صدق الوحي:

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ أقسم بجنس النجوم ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب، أو انتثر يوم القيامة، وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ﴾ ما عدل عن قصد الحق ﴿صَاحِبُكُمۡ﴾ أي: محمد ﷺ، والخطاب لقريش[١] ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما وقع في اتباع الباطل، وقيل: الضلال نقيض الهدى، والغي نقيض الرشد، أي: هو مهتد راشد، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ أي: وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، إنَّما هو وحي من عند الله يُوحَى إليه[٢].

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ علَّم محمدًا ﷺ ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ مَلَك شديد قواه، وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور. ومن مظاهر قوته: أنَّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين. ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ ذو منظر حسن ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية، دون الصورة الآدمية التي كان ينزل بها على الرسول ﷺ.

---

(١) وَعبَّر بلفظ صاحبكم والمقصود به النبي محمد ﷺ لأنه صاحبهم طوال أربعين سنة لم تَشُبْه شائبة أو شيء يُخِلُّ بالمروءة.
(٢) قال الآلوسى عليه الرحمة: ولا يبعد عندي أن يحمل قوله (وما ينطق عن الهوى) على العموم.

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾

وذلك أنَّ رسول الله ﷺ أحبَّ أن يراه في صورته الحقيقية، فاستوى له في الأفق الأعلى ـ وهو أفق الشمس ـ فملأ الأفق، وقيل: ما رآه أحد من الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء[1].

﴿ وَهُوَ ﴾ **أي: جبريل عليه السلام** ﴿ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ **مطلع الشمس.** ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ **جبريل من رسول الله ﷺ.**

﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ **فزاد في القرب، والتدلي: هو النزول بقرب الشيء.**

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ **مقدار قوسين عربيتين، أو أقرب من ذلك[2].**

﴿ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ **أي: على تقديركم، وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم، ومقدار فهمهم، وهم يقولون: هذا قدر رمحين أو أنقص.**

﴿ فَأَوۡحَىٰٓ ﴾ **جبريل عليه السلام** ﴿ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾ **إلى عبد الله محمد ﷺ، ولم يُجْرِ له ـ تعالى ـ ذِكْرًا؛ لكونه في غاية الظهور.**

﴿ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ **أبهم سبحانه ما أوحاه تفخيمًا للوحي الذي أُوحي إليه،**

﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ ﴾ **فؤاد محمد ﷺ** ﴿ مَا رَأَىٰٓ ﴾ **يعني: ما رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أنَّ ما رآه حق[3]** ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ﴾ **أفتجادلونه على ما يراه معاينة، من المراء وهو المجادلة في الباطل** ﴿ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾**.**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا وفي الصحيحين من رواية مسروق عن عائشة «أنا أول من سأل رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي رأيته عليها غير هاتين المرتين حاشية الهشاك ٤/ ٤١٩. وراجع صحيح مسلم ١/ ١٥٩ حديث رقم ٢٨٧».

(٢) وعن مجاهد والحسن أن قاب القوس ما بين وترها ومقبضها، والمراد: إفادة شدة القرب.

(٣) أي جبريل عليه السلام، وإذن فليس هناك أدنى شك في أن من يأتيه في صورة دحية الكلبي هو هو، فقد رآه عليه السلام بصورة نفسه، وعرفه حق معرفته، فلم يشتبه عليه بوجه.

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ ﴾ رأى محمدٌ جبريلَ عليهما السلام ﴿ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾ مرة أخرى من النزول، نُصبت النَّزْلة نَصْبَ الظرف الذي هو مرة، أي: نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج ﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ الجمهور: على أنَّها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء، أو الانتهاء كأنَّها في منتهى الجنة وآخرها، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾ أي: الجنة التي يصير إليها المتقون، وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴾ أي: (رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى)، وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقد قيل: يغشاها الجمُّ الغفير من الملائكة، يعبدون الله تعالى عندها، وقيل: يغشاها فَرَاشٌ من ذهب[1] ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ ﴾ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها ﴿وَمَا طَغَىٰ ﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ ﴾ والله لقد رأى ﴿ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ الآيات التي هي كبراها، وعُظْماها، يعني: حين رقي به إلى السماء فرأى عجائب الملكوت.

عدم فائدة الأصنام:

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ أي: أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل، هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بها رب العزة سبحانه وتعالى؟! واللات، والعزى، ومناة، أصنام لهم، وهي مؤنثات،

---

(١) (يَغْشَى) يغطى، والغشيان هنا بمعنى التغطية والستر، قيل: يغشاها نور الله تعالى، والمراد: التضخيم والتعظيم على كل حال.

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

فاللات: اسم لصنم كان لثقيف بالطائف، والعزى: كانت لِغَطفَان، ومناة: صخرة كانت لهُذَيل وخُزاعة، وقيل لثقيف، وكأنَّها سميت مناة؛ لأنَّ دماء النسائك كانت تُمنى عندها، أي: تُراق ﴿ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ هي صفة ذم، أي: المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ ﴾[1]. ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ﴾ أي: جَعْلُكُم لله البنات ولكم البنين ﴿ضِيزَىٰٓ ﴾ أي: جائرة. ﴿ إِنۡ هِيَ ﴾ ما الأصنام ﴿ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسمَّيات؛ لأنَّكم تدَّعون الأُلوهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ﴿ سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾ أي: سميتم بها، يقال: سميته زيدًا، أو سميته بزيد ﴿ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ حُجَّة ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق ﴿ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ ﴾ وما تشتهيه أنفسهم ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ الرسول والكتاب فتركوه، ولم يعملوا به ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ (أم) منقطعة، بمعنى: بل والهمزة[2] فيها الإنكار، أي: ليس للإنسان يعني ـ الكافر ـ ما تمنَّى من شفاعة الأصنام.

وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ أي: هو مالكهما، وله الحكم فيهما، يعطى النبوة والشفاعة مَنْ شاء وارتضى؛ لا مَنْ تَمَنَّى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ يعني: أنَّ أمر الشفاعة ضيِّق، فإنَّ الملائكة مع قُربِهم وكثرتهم لو شفعوا

---

(١) سورة الأعراف . الآية: ٣٨.
(٢) والإضراب للانتقال لبيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى الوهم والهوى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

بأجمعهم لأحد لم تُغْنِ شفاعتهم شيئًا قط، ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة لِمَنْ يشاء الشفاعة له، ويرضاه ويراه أهلًا لأن يشفع له، فكيف تَشْفع الأصنام إليه لعابديها؟!

تسمية المشركين الملائكة بنات الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾؛ لأنهم إذا قالوا: الملائكة بنات الله، فقد سَمَّوا كلَّ واحدٍ منهم بنتًا، وهي تسمية الأنثى ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ ﴾ وما لهم به من علم بهذا القول، أي: بما يقولون ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ ﴾ هو تقليد الآباء ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾ أي: إنما يُعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم والتيقن، لا بالظن والتوهم ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ فأعرض عمَّنْ رأيته مُعرضًا عن ذكر الله أي: القرآن. ﴿ وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ اختيارهم الدنيا والرضا بها. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: اختيارهم الدنيا والرضا بها ﴿ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ ﴾ منتهى علمهم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ أي: هو أعلم بالضالِّ والمهتدي ويجازيهما.



﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ ﴾

جزاء المسيئين والمحسنين:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ بعقاب ما عملوا من السوء، أو بسبب ما عملوا من السوء ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، أو بسبب الأعمال الحسنى.

والمعنى: أنَّ الله عز وجل إنَّما خلق العالم وسوَّى هذا الملكوت؛ ليجزي المحسن من المكلَّفين والمسيء منهم، إذ المَلِك قادر على نصر الأولياء وقهر الأعداء.

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل من ﴿ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ في محل نصب أو في محل رفع على المدح، أي: هم الذين ﴿ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ أي: الكبائر من الإثم؛ لأنَّ الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر، والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها ﴿ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ أفحش من الكبائر، كأنَّه قال: والفواحش منها خاصة. قيل: الكبائر ما أوعد الله عليه النار، كالشرك بالله وعقوق الوالدين، والفواحش: ما شرع فيها الحد، كالقتل العمد والزنى والقذف والشرب ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ أي: الصغائر، والاستثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش، وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة[1] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴾ فيغفر ما شاء من الذنوب من غير توبة ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم ﴾ أي: خلق أباكم ﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٞ ﴾ جمع جنين ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تُثْنُوا عليها، فقد علم

(١) إذا لم يصر عليها ويواظب على فعلها، وإلا فالإصرار على الصغائر يحولها إلى كبائر، وفي الأثر: (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) وفسر بعضهم (اللمم) بحديث النفس بالمعصية، وما يخطر على القلب ولم يفعلها.

﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾

الله الزكي منكم والتقي أولًا وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وحكم المدح إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء منهيٌّ عنه، وإذا كان على سبيل الاعتراف بالنعمة، أو إثبات الحق فإنه جائز؛ لأنَّ المسرَّة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس.

توبيخ بعض المشركين:

﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴾ قطع عَطِيَّته وأمسك، وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية: وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّها نزلت فيمَنْ كفر بعد الإيمان، وقال مجاهد وابن زيد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتَّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيَّره بعض الكافرين، وقال له: تركتَ دين الأشياخ، وزعمتَ أنَّهم في النار، قال: إنِّي خشيتُ عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، ففعل، وأعطى الذي عاتبه بعضَ ما ضمن له، ثم بخل به ومنعه. ﴿ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ أي: فهو يعلم أنَّ ما ضمنه من عذاب الله حق ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ ﴾ يُخْبَر ﴿ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أي: التوراة ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أي: وفي صحف إبراهيم ﴿ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ أي: وفَّي وأتم، كقوله: ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1]، وإطلاقه ليتناول كل وفاء، وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفَّى به.

---

(١) سورة البقرة. الآية: ١٢٤.

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾

من مظاهر العدل الإلهي:

ثمَّ أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ﴿ تَزِرُ ﴾ من وزر يزر إذا اكتسب وزرًا وهو الإثم، «أَنْ» المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنَّه لا تزر، والضمير ضمير الشأن، ومحل (أَنْ) وما بعدها الجر بدلًا من ﴿ فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾، أو في محل رفع: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أن لا تزر، كأنَّه قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقيل: ألا تزر وازرة وزر أخرى، أي: ألا تحمل نفس ذنب نفس ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ إلا سعيه، وهذه أيضًا ممَّا في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي: يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه.

﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ﴾ ثمَّ يُجزى العبد سعيه، يُقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء، ثمَّ فسَّره بقوله: ﴿ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾، أو أبدله عنه. ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ هذا كله في الصحف الأولى، والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه.

من مظاهر قدرة الله تعالى:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ خلق الضحك والبكاء، وقيل: خلق الفرح والحزن، وقيل: أضحك المؤمنين في الآخرة بالمواهب، وأبكاهم في الدنيا بالنوائب. ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ قيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان، أو أمات هنا وأحيا هناك.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ٥٥ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ٥٦﴾

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ الصنفين ﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ إذا تُدفق في الرحم. ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ الإحياء بعد الموت ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ أي: وأعطى القِنْيَةَ، وهي: المال الذي عزمت أن لا تخرجه من يدك (أي تقتنيه) ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها، فأعلمَ الله أنَّه رب معبودهم هذا ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ هم قوم هود، وعاد الأخرى إِرَمْ. ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ أي: وأهلك ثمود فما أبقاهم ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ أي: وأهلك قوم نوح ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ من عاد وثمود؛ لأنَّهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حَرَاك، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه. ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت ﴿أَهۡوَىٰ﴾ أي: رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض، أي: أسقطها، ﴿والمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوبة بأهوى على أنَّها مفعول به ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ ألبسها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ ما غطَّى، وهو تهويل وتعظيم لِمَا صُبَّ عليها من العذاب.

الاتعاظ بالقرآن:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أيها المخاطب ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك بما أولاك من النعم، أو بما كفاك من النقم ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ﴾ أي: محمد ﷺ منذر ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾ من المنذرين الأولين، وقال ﴿ٱلۡأُولَىٰٓ﴾ أي: إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي

﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

أنذر بها من قبلكم ﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴾ قربت القيامة الموصوفة بالقرب في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾[1] ﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: ليس لها نفس كاشفة، أي: مُبَيِّنة متى تقوم، أو ليس لها نفس كاشفة، أي: قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى غير أنَّه لا يكشفها ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن ﴿ تَعۡجَبُونَ ﴾ إنكارًا ﴿ وَتَضۡحَكُونَ ﴾ استهزاءً ﴿ وَلَا تَبۡكُونَ ﴾ خشوعًا.

﴿ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴾ غافلون، أو لاَهُون لاعبون ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ أي: فاسجدوا لله، واعبدوه، ولا تعبدوا الآلهة المزعومة، كالأصنام.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة القمر . الآية: ١ .

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ إبهام الموحى به؛ للتعظيم والتهويل.

- في قوله تعالى: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ في استخدام حرف الجر (على) بدلًا من استخدام حرف الجر (في)، دلالة على أن هذا الأمر مُعطى من الله، هبة لنبينا ﷺ، فهذه الأشياء التي يراها كجبريل وكالوحي لا تؤخذ بعلم، بل هي فضل من الله.

- في قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ استفهام توبيخي.

- في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ استفهام إنكاري.

- بين (ضَلَّ) و﴿ ٱهْتَدَىٰ ﴾: طباق.

- في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ استعارة تصريحية، فقد استعار الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان.

- في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾ استعارة تصريحية، شبّه من يعطى قليلًا ثم يمسك عن العطاء بمن يمسك عن الحفر بعد أن حيل دونه بصلابة كالصخرة.

- في قوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ الإبهام للتعظيم والتهويل.

- في قوله تعالى: ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾، و﴿ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾، و(أَعْطَى) و(أَكْدَى)، و﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ طباق إيجاب.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ النبي ﷺ معصوم في أفعاله وأقواله.

٢ ـ الابتعاد عن الظن، والوهم، والهوى.

٣ ـ إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته المَلَكِيَّة مرتين.

٤ ـ تسفيه عقول المشركين؛ لعبادتهم أسماء لا مسميات لها في الواقع.

٥ ـ مجازاة كل من المحسن والمسيء بعمله.

٦ ـ النهي عن تزكية المرء نفسه.

٧ ـ قرب قيام الساعة وخفاؤها عن كل خلق الله.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

س١: بم أقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة؟ وأين جواب القسم؟ وما معنى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؟

س٢: لِمنْ الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾؟ وما معنى ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾؟ وما مظاهر قوته؟ وما معنى ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾؟

س٣: ما المراد بالكبائر، والفواحش، واللمم؟ وفيمَنْ نزل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؟

س٤: وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾

س٥: لماذا عبر عن النبي ﷺ بلفظ ﴿صَاحِبُكُم﴾؟

س٦: بين مظاهر العدل الإلهي في السورة الكريمة.

س٧: كيف دلت السورة الكريمة على بعض مظاهر قدرته؟

س٨: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

* * *



سورة القمر

(مكيَّة وهي: خمس وخمسون آية)

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾

قرب وقوع الساعة:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قربت القيامة. ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ نصفين، قال ابن مسعود ﵁: رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل: معناه ينشقُّ يوم القيامة.

والجمهور على الأول: وهو المرويُّ في الصحيحين[1]، ولا يُقال: لو انشق لَمَا خَفِيَ على أهل الأقطار، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترًا؛ لأنَّ الطِّباع جُبِلَتْ على نشر العجائب؛ لأنَّه يجوز أن يحجبه الله عنهم بِغَيْمٍ.

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ يعني: أهل مكة ﴿ءَايَةً﴾ تدل على صدق محمد ﷺ ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ عن الإيمان به. ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ محكمٌ قوي، أو دائم مُطَّرِد، أو مارٌّ ذاهب يزول ولا يبقى. ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبي ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وما زيَّن لهم الشيطان مِنْ دَفْع الحق بعد ظهوره. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وعدهم الله ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ كائن في وقته، وقيل: كلُّ ما قُدِّر واقع. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني: أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن المودع فيه أنباء القرون الخالية، أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار عن الكفر، تقول: زجرته وأزجرته، أي: منعته.

---

(١) أخرج البخاري في كتاب التفسير ـ باب ـ وانشق القمر، من حديث ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله: اشهدوا) الحديث رقم (٤٨٦٤).

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾

وأصله: مزتجر، ولكنَّ التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أُبدلت دالًا؛ لأنَّ التاء حرف مهموس والزَّاي حرف مجهور، فأُبدل من التاء دالًا لتوافق الزَّاي في الجهر. ﴿حِكْمَةٌ﴾ بدل مرفوع من ﴿مَا﴾، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو حكمة. ﴿بَالِغَةٌ﴾ نهاية الصواب، أو بالغة من الله إليهم.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والنذر جمع نذير، وهم الرسل أو المنذر به، أو النذر مصدر بمعنى الإنذار. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أنَّ الإنذار لا يغني فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ نُصب ﴿يَوْمَ﴾ بيخرجون، أو بإضمار اذكر. ﴿نُّكُرٍ﴾ منكر فظيع تنكره النفوس؛ لأنَّها لم تعهد بمثله، وهو هول يوم القيامة. ﴿خُشَّعًا﴾ حال من الخارجين، وهو فعل للأبصار، كما تقول: يخشع أبصارهم، ويجوز أن يكون في ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ضمير (هم)، وتقع أبصارهم بدلًا عنه، وخشوع الأبصار كناية عن الذلة؛ لأنَّ ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة، والجراد مَثَلٌ في الكثرة والتموّج، يقال: في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد. ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين مَادِّي أعناقهم إليه ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب شديد.

الاتعاظ بهلاك المكذبين من الأمم السابقة:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا عليه السلام .

﴿وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾

وتكرار التكذيب؛ لأنَّهم كذَّبوه تكذيبًا على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مُكذِّب تبعه قرن مكذب، أو كذَّبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا؛ لأنَّه من جملة الرسل. ﴿وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ﴾ أي: هو مجنون ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ أي: زُجر عن أداء الرسالة بالشتم وهُدِّد بالقتل، أو تخبطته الجن وذهبت بعقله. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ أي: بأنِّي ﴿مَغۡلُوبٞ﴾ غلبني قومي، فلم يسمعوا منى، واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم. ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ مُنصبٍّ في كثرة وتتابع لم ينقطع ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ أي: مياه السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ على حال قدَّرها الله كيف شاء، أو على أمر قد قُدِّر في اللوح المحفوظ، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتُؤدِّي مُؤدَّاها، بحيث لا يفصل بينها ـ أي: الصفات ـ وبينها، ـ أي: الموصوفات ـ وهذا من فصيح الكلام وبديعه[1]. والدُّسُرُ: جمع دِسَار، وهو المسمار؛ لأنَّه يُدسر به منفذه[2]. ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمرأى منَّا، أو بحفظنا، و﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ حال من الضمير في تجري، أي: محفوظة بنا.

---

(١) وذلك وفق قولهم «إذا اشتهرت الصفة بالموصوف حذف الموصوف وحلت الصفة محله»، وفي ذلك إيجاز، والبلاغة الإيجاز.

(٢) أصل الدَّسرْ: الدفع الشديد بقهر، فسمي به المسمار لأنه يدق فيدفع بشدة. وفي المعجم الوسيط: الدسار في الشيء دسرًا أدخله فيه بقوة والدسار المسمار، والدسار: حبل من ليف تشد به ألواح السفينة. أهـ مادة دسر.

﴿ جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾

﴿ جَزَآءٗ ﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك جزاءً ﴿ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ هو نوح عليه السلام، وجعله مكفورًا؛ لأنَّ النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] فكأنَّ نوحًا نعمة مكفورة.

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ﴾ أي: السفينة، أو الفعلة[2]، أي: جعلناها ﴿ ءَايَةٗ ﴾ يُعتبر بها. ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ متعظ يتعظ ويعتبر، وأصله مذتكر بالذال والتاء، فأُبدلت التاء دالًا، فصارت (مذدكر)، والذال والدال من موضع قريب، فأُدغمت الذال في الدال. ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ جمع نذير: وهو الإنذار ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ ﴾ سهَّلناه للادِّكار والاتعاظ. ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ متذكر ومتعظ، وقيل: ولقد سهَّلناه للحفظ، وأعنَّا عليه مَنْ أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليُعان عليه؟

﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي: إنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله.

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا ﴾ باردًا، أو شديدة الصوت.

﴿ فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ ﴾ شؤم ﴿ مُّسۡتَمِرّٖ ﴾ دائم الشر استمر عليهم حتى أهلكهم. ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ تقلعهم عن أماكنهم، وكانوا يَصْطَفُّون آخذًا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم. ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه.

---

(١) سورة الأنبياء . الآية: ١٠٧.
(٢) أو: القصة، أي أبقينا خبرها وحكايتها في القرآن.

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ ﴾

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾.

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا ﴾ انتصب (بَشَرًا) بفعل يفسره ﴿ نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾، تقديره: أنتبع بشرًا منَّا واحدًا.

﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ كان صالح عليه السلام يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق، فعكسوا عليه، فقالوا: إن اتبعناك كنا كما تقول.

﴿ وَسُعُرٍ ﴾: نيران جمع سعير، وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب، والسُّعُر: الجنون، وقولهم: ﴿ أَبَشَرٗا ﴾ إنكارًا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من الملائكة، وقالوا: ﴿ مِّنَّا ﴾؛ لأنَّه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى. وقالوا: ﴿ وَٰحِدٗا ﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمة رجلًا واحدًا، أو أرادوا واحدًا لا يُعرف أصله، ليس من أشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا ﴾ أي: أأنزل عليه الوحي بيننا، وفينا مَنْ هو أَحَقُّ منه بالاختيار للنبوة. ﴿ بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ بَطِر متكبر، حمله بَطَرُه وطلبه التعظم علينا على ادِّعاء ذلك. ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا ﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة[1] ﴿ مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾ أصالح أم مَنْ كذَّبه. ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا ﴿ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ ﴾ امتحانًا لهم وابتلاء، وهو مفعول له أو حال. ﴿ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ على أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

(١) والأول أولى وأرجح لمقتضى اللحاق، فإن إرادة يوم القيامة من قوله ﴿ غَدٗا ﴾ لا يتناسب مع قوله: ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ مقسوم بينهم لها شِرْبُ يوم، ولهم شرب يوم، وقال: ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ تغليبًا للعقلاء. ﴿ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ محضور، يحضر القوم الشرب يومًا، و تحضر الناقة يومًا ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ ﴾ أشقاهم ﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له. ﴿ فَعَقَرَ ﴾ الناقة، أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف، وإنما قال ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾[1] في آية أخرى؛ لرضاهم به، أو لأنَّه عقر بمعونتهم. ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ في اليوم الرابع من عقرها ﴿ صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ صاح بهم جبريل عليه السلام ﴿ فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ والهشيم: الشجر اليابس المتهشِّم المتكسر، والمحتظر: الذي يَعْمَلُ الحظيرة، وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتطؤه البهائم، فيتحطم ويتهشم ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: على قوم لوط ﴿ حَاصِبًا ﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ ابنتيه ومَنْ آمن معه ﴿ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ من الأسحار، وهو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر حيث يختلط سواد الليل ببياض النهار.

﴿ نِّعْمَةً ﴾ مفعول له، أي: إنعامًا ﴿ مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ نِعْمَةَ الله بإيمانه وطاعته. ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾ لوطٌ عليه السلام ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿ فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ فكذبوا بالنذرِ مُتَشاكِّين.

---

(١) سورة الأعراف . الآية: ٧٧.

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ ﴾ طلبوا الفاحشة من أضيافه ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾ أعميناهم، وقيل: مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى له شق ﴿ فَذُوقُوا۟ ﴾ فقلتُ لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ أول النهار ﴿ عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وفائدة تكرير ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ أن يُجدِّدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادِّكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾. ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء، أو هو جمع نذير: وهو الإنذار ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾ بالآيات التسع، وهي: العصا، واليد، والسّنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ ﴾ لا يُغالَب ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ لا يعجزه شيء.

توبيخ مشركي مكة على عدم الاعتبار بهلاك السابقين:

﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وآل فرعون، أي: أهم خيرٌ قوةً ومكانةً في الدنيا، أو أقل كفرًا وعنادًا؟ ﴿ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ أم أُنْزِلَتْ عليكم يا أهل مكة براءةٌ في الكتب المتقدمة، أنَّ مَنْ كفر منكم وكذَّب الرسل كان آمنًا من عذاب الله،

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

فأمنتم بتلك البراءة ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿ مُّنتَصِرٞ ﴾ ممتنع، لا نرام ولا نضام ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ ﴾ جمع أهل مكة ﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ أي: الأدبار، والمعنى: ينصرفون منهزمين يوم بدر، وهذه من علامات النبوة[1]. ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ ﴾ موعد عذابهم بعد بدر ﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ ﴾ أشدُّ من موقف بدر، والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدائه ﴿ وَأَمَرُّ ﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا وأشدّ.

ترهيب وترغيب:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿ وَسُعُرٖ ﴾ ونيران في الآخرة، أو في هلاك ونيران. ﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ يجرون فيها ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾ ويقال لهم: ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي: يُقال لهم: ذوقوا آلام سقر، و﴿ سَقَرَ ﴾ علم لجهنم ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ ﴿ كُلَّ ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: خلقنا، وذلك يدل على العموم واشتمال الخلق على جميع الأشياء، ولا يجوز أن يكون خلقنا صفة لشيء؛ لأنَّ الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف.

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ ﴾ إلا كلمة واحدة، أي: وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون. ﴿ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ على قدر ما يلمح أحدكم ببصره، وقيل: المراد بأمرنا: أمر القيامة، كقوله: ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ ﴾[2]

---

(١) وهي أيضًا: من الإعجاز الغيبي للقرآن حيث وقع ذلك في بدر الكبرى مع أن آية القمر مكية.
(٢) سورة النحل . الآية: ٧٧.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ متعظ ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ أي: أولئك الكفار، أي: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ ﴾ مفعول لهم ثابت ﴿ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ في دواوين الحفظة، و ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ في موضع جر نعت لشيء، و ﴿ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ خبر لكل. ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿ مُّسْتَطَرٌ ﴾ مسطور في اللَّوح. ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ وأنهار اكتفى باسم الجنس ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ في مكان مرضي.

﴿ عِندَ مَلِيكٍ ﴾ عندية منزلة وكرامة ﴿ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ قادر، وفائدة التنكير فيهما أن يُعلم أنَّه ما من شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته، وهو على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ كناية؛ لأنَّ خشوع الأبصار كناية عن الذلة، وذلك لأنَّ ذلة الذليل، وعزة العزيز إنَّما تظهران في عيونهما.

ـ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ تشبيه مرسل مفصل؛ حيث شبَّههم بالجراد المنتشر، في الكثرة والتموج والانتشار في الأقطار.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ استعارة تمثيلية، شبَّه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهارٍ انفتحت بها أبواب السماء.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ كناية عن موصوف وهو السفينة.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ استفهام تعظيم وتعجب.

ـ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ تشبيه مرسل حيث شُبِّهوا بأعجاز النخل، وهي أصولها بلا فروع؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقي أجسادًا، وجثثًا بلا رؤوس، وزاد التشبيه حسنًا، أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال.

ـ في قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ تشبيه مرسل؛ حيث شبَّههم بالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته.

❊ ❊ ❊

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ ـ الإخبار بقرب مجيء الساعة.

٢ ـ عدم جدوى النُّذر لِمنْ يتبع هواه.

٣ ـ توبيخ المشركين على ما هم فيه من الغفلة وعدم الاعتبار بهلاك السابقين.

٤ ـ فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.

٥ ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بإرسال الرسل، والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات.

٦ ـ كل ما في الوجود بقدرة الله وإرادته ويسير وفق قضائه وقدره.

٧ ـ كل أعمال المرء في كتاب قد خطه الكرام الكاتبون.

* * *



الأسئلة

س١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾؟ وما معنى ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾؟ وما إعراب: ﴿حِكْمَةٌۢ﴾؟ وما معنى ﴿بَٰلِغَةٌ﴾؟

س٢: ما معنى ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾؟ وما المراد بالماء؟ وما معنى ﴿كُفِرَ﴾؟ ومَنْ المكفور؟ ولماذا جعل مكفورًا؟

س٣: مَنْ المراد بآل لوط؟ وما إعراب نعمة؟ وما فائدة تكرير قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؟ ومَنْ المراد بالجمع في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾؟.

س٤: وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾.

س٥: ما الحكمة من ذكر هلاك المشركين السابقين؟

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

* * *

سورة الرَّحمن

(مدنيَّة وهي: ثمان وسبعون آية)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾

مِنْ نعمِ الله على خَلْقه:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي: الجنس، أو آدم، أو محمدًا، عليهما الصلاة والسَّلام.

﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ عدَّد اللَّه عز وجل آلاءَه، فقدَّم في الذِّكْر أسبقَ آلائه قِدَمًا، وهي نِعمةُ الدِّين، وقدَّم من نِعمة الدِّين ما هو في أعلى مراتبها، وهو إنعامه على الخَلْقِ بالقرآن، وتنزيله، وتعليمه؛ لأنَّ القرآنَ أعظمُ وحيِّ اللَّه رتبةً، وأعلاه منزلةً، وهو سِنامُ الكُتُب السَّماويَّة، ومِصداقُها، والمُهيمِنُ عليها.

وأخَّرَ ذِكْرَ خَلْقِ الإنسان عن ذِكْرِ القرآن فقال: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ لِيَعلَمَ الإنسانُ أنَّه خُلِقَ للدِّين، فيتعلَّمَ وحْيَ اللَّه وكتبه[1].

ثُمَّ ذَكَرَ ما تميَّز به الإنسان عن سائر الحيوان وهو نعمة البَيَان، ومعناه: الْمَنْطِق الفصيح المُعْرِبُ عَمَّا في الضَّمير.

و ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأٌ، وهذه الأفعال المذكورة في قوله ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ مع ضمائرها أخبارٌ مترادفةٌ لهذا المبتدأ، ومجيئُها من غير حرف العَطْف؛ لِورودها على نَمطِ التَّعديد ـ كأنَّك تُعَدِّدُ شيئًا ـ كما تقول: زيدٌ أغناك بعد فقرٍ، أَعزَّكَ بعد ذُلٍّ، كَثَّرك بعد قِلَّةٍ، فَعَلَ بك ما لم يفعلْ أَحدٌ بِأحدٍ، فما تُنْكِرُ من إحسانه؟!

(١) تعليم القرآن هو الغاية من خلق الإنسان، والغاية متقدمة على صاحب الغاية ذهنًا، وإن كان الأمر بالعكس خارجًا.



﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ بحسابٍ معلومٍ، وتقديرٍ سَويٍّ يجريان في بُروجِهما ومَنازِلِهما، وفي ذلك منافعُ للنّاس، منها عِلْمُ السِّنين والحساب ﴿ وَٱلنَّجْمُ ﴾ النَّبات الذي يَنْجُمُ ـ أي: يَنْبُتُ ـ من الأرض لا ساق له؛ كالبُقُول ﴿ وَٱلشَّجَرُ ﴾ الذي له ساقٌ، وقيل: النَّجْمُ: نجومُ السماء[1] ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ ينقادان لله تعالى فيما خُلِقَا من أجله، تشبيهًا بالسَّاجد من المُكلَّفين في انقياده لله تعالى.

واتصلت هاتان الجملتان بـ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، وصحَّ إعرابهما خبران عن المبتدأ، وهو قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، على الرَّغم من عدم وجود الرَّابط اللَّفظي بين المبتدأ والخبر، وذلك لوجود الوَصْل المعنوي؛ لِمَا عُلِمَ أنَّ الحُسْبَان حُسْبَانُه، والسُّجودَ لا يكون إلَّا له، كأنَّه قيل: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ بحُسْبَانِه ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ له، وبذلك تعدد الخبر للمبتدأ «الرحمن».

ولم يُذْكر حرفُ العطف في الجُمَل الثلاثة الأُوَل، ثُمَّ ذُكِرَ به بعد ذلك؛ لأنَّ الجُمَلَ الأُوَل ورَدَتْ على سبيل التَّعديد تبكيتًا لِمَنْ أَنْكر نعم اللَّه.

ثم جاء الكلامُ بعد هذا التَّبكيت بحرف العطف، فوَصَلَ ما يجب وصْلُهُ؛ رعاية للتَّناسب من حيث التَّقابل، فالشَّمس والقمر سماويَّان، والنَّجمُ والشَّجَر أَرْضِيَّان، ثُمَّ إنَّ الشَّمس والقمر مُنْقَادان في جريهما بحسبان لأمر اللَّه، وهذا مُناسبٌ لسجود النَّجم والشَّجر.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ خلقها مرفوعةً، وجعلها مَنْشأَ أحكامه، ومَصدرَ قضاياه، ومَسْكنَ ملائكته الذين يهبطون بالوحيِّ على أنبيائه، ونبَّه بذلك على كبرياء شأنه،

(١) والأول الراجح، لأن اقترانه بالشجر يدل عليه، والسجود هنا هو السجود بالمعنى اللغوى.

﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾

ومُلْكِه، وسُلْطَانه. ﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ وهو: كُلُّ ما تُوزن به الأشياء، وتُعْرَفُ مقاديرُها، من ميزانٍ، ومكيالٍ، ومقياسٍ، أي: خَلَقَه موضوعًا على الأرض؛ حيث عَلَّق به أحكام عباده من التَّسوية، والتَّعديل في أَخْذِهم وإعطائِهم ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾ أي لـ ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ ﴾ فهي جملة تعليلية لقوله ﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ أو: هي أَنْ المُفَسِّرة، بمعنى: أي.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ قَوِّمُوا وَزنكم بالعدل ﴿ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ ولا تُنْقصوه، أَمَرَ بالتَّسوية ونهى عن الطُّغْيان الذي هو اعتداءٌ وزيادةٌ، ونهى عن الخُسْرَان الذي هو تَطْفيفٌ ونُقْصَان، وكرَّرَ لفظ الميزان؛ تشديدًا للتَّوصية به، وتقويةً للأمر باستعماله والحثِّ عليه.

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا ﴾ خَفَضَها مبسوطةً مستوية ﴿ لِلۡأَنَامِ ﴾ للخَلْقِ، وهو كُلُّ ما على ظهر الأرض من دابَّة، وعن الحسن رحمه الله: الإنسُ والجنُّ، فهي كالبِساط لهم يتصرَّفون فوقَها.

﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ ﴾ ضُروبٌ مِمَّا يُتَفَكَّهُ بِه ﴿ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴾ هي أوعية التَّمْر، مفردها: كِمٌّ بِكسر الكاف، أو: هو كُلُّ ما يَكُمُّ، أي: يُغطي مِن لِيفِه، وَسَعْفه وغير ذلك، وكُلُّه مُنتفعٌ به كما يُنتفَعُ بالمَكْمُوم مِنْ ثمره، وجذوعه، وغير ذلك ﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ ﴾ هو ورق الزَّرْعِ أو التِّبْنُ الذي يُقدَّم عَلَفًا للماشية.

﴿ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾ الرِّزق وهو اللُّبُّ، أراد أنَّ الأرض فيها ما يُتلَذَّذُ به من

الفواكه، وفيها الجامع بين التَّلَذُّذِ والتَّغذي وهو ثمر النَّخْل، وفيها ما يُتَغَذَّى به فقط وهو الحَبُّ.

وقرأ حمزة والكسائي ﴿ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ بالجرِّ، أي: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ ﴾ الذي هو عَلَفُ الأنعام ﴿وَٱلرَّيْحَانُ ﴾الذي هو مَطْعم الأنَام. وقرأ ابْن كثير، وَنَافِع، وَأَبُو عَمْرو، وَعَاصِم بالرَّفع على تقدير ذو أي:﴿ و ﴾ ذو ﴿ ٱلرَّيْحَانُ ﴾ فحُذِف المُضاف ذو وأُقِيم المضاف إليه ﴿ٱلرَّيْحَانُ ﴾ مقامه، وقيل: على قراءة الرَّفع أيضًا معناه: ﴿ و ﴾ فيها ﴿ ٱلرَّيْحَانُ ﴾ الذي يُشَمُّ. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ﴾ أي: النِّعَم مِمَّا عَدَّدَ مِنْ أوَّل السورة، جمع أَلْي، وإلْي ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الخطاب للثَّقلين الإنس والجنّ، بدلالة الأنَام عليهما.

من دلائل قدرته تعالى:

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ ﴾ طينٍ يابسٍ له صَلْصَلة [١] ﴿كَٱلْفَخَّارِ ﴾ أي: الطِّين المطبوخ بالنَّار، وهو الخَزَف، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٢]، وقوله ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[٣]، وقوله ﴿مِن تُرَابٍ ﴾[٤] لاتفاقها جميعًا في المعنى؛ لأنَّه يُفيد: أنَّه خلقه من ترابٍ، ثُمَّ جعله طينًا، ثُمَّ حمأً مسنونًا، ثُمَّ صلصالًا، فلا تعارض بينها [٥].

---

(١) صلصل الشيء: صوت صوتا فيه ترجيع. كذا في المعجم.
(٢) سورة الحجر. الآية: ٢٦.
(٣) سورة الصافات. الآية: ١١.
(٤) سورة آل عمران. الآية: ٥٩.
(٥) وكل آية من هذه الآيات تمثل مرحلة من مراحل الخلق، فالمخبر عنه هو آدم عليه السلام وقع خلقه على أحوال شتى.

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ ﴾ أبا الجنِّ ﴿مِن مَّارِجٍ ﴾ هو اللَّهب الصافي الذي لا دُخَانَ فيه، وقيل: اللَّهب المُختلِط بسواد النَّار، مِنْ مَرَجَ الشيءُ: إذا اضطرب واختلط ﴿مِّن نَّارٍ ﴾ هو بيان لـ ﴿ مَّارِجٍ ﴾ كأنَّه قيل: مِنْ صَافٍ ﴿مِّن نَّارٍ ﴾، أو مختلط ﴿مِّن نَّارٍ ﴾ أو أراد: ﴿مِّن نَّارٍ ﴾ مخصوصة كقوله: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾[1] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ أراد مشرقي الشَّمس في الصيف والشتاء، ومغربي الشَّمس فيهما[2] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ أي: أرسل البحر المِلْحَ والبحر العَذْبَ متجاوِرَيْن مُتلاقِيَيْن، لا فَصْلَ بين الماءين في مرأى العين ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجزٌ من قدرة اللَّه تعالى ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يبغي أحدُهما على الآخر بالمُمازجة، ولا يتجاوز حَدَّه ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ كِبار الدُّرِّ ﴿ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ صِغاره، وإنَّما قال ﴿ مِنْهُمَا ﴾ واللؤلؤ والمرجان إنّما يَخرجان من المِلْح فقط؛ لأنَّهما لَمَّا التقيا وصارا كالشيءِ الواحد جاز أنْ يُقال: يخرجان منهما، كما يُقال: يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكنْ مِنْ بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من مكان فيها ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

---

(١) سورة الليل. الآية: ١٤.
(٢) وقيل: مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما.

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

﴿ وَلَهُ ﴾ ولله ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ السُّفُن، جمع: جارية ﴿ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ المرفوعاتُ الشُّرَّع. ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ وقرأ حمزة (المنشِئات) بكسر الشِّين أي: الرَّافعاتُ الشُّروع، أو اللاتي يُنْشِئْنَ الأمواجَ بجريهن ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ جمع عَلَم، وهو الجبل الطويل ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ على الأرض ﴿ فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ذاتُه ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ ذو العظمة والسلطان، و﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ صفةُ الوجه ﴿ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ بالتجاوز والإحسان، وهذه الصفة من عظيم صفات اللَّه، وفي الحديث قال النبي ﷺ: «أَلِظُّوا بـ(يا ذا الجلال والإكرام)»[1]، ومعنى «أَلِظُّوا» أي: الزموا هذه الدَّعوة وداوموا عليها.

ورُوى أنَّه ﷺ مَرَّ برجل وهو يصلي، ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد اسْتُجِيبَ لك»[2] ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، والنِّعمة في الفناء باعتبار أنَّ المؤمنين يَصِلون به إلى النَّعيم الدَّائم في الجنَّة، قال يحيى بن معاذ: حبَّذَا الموتُ فهو الذي يقربُ الحبيبَ إلى الحبيبِ. ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كُلُّ أهل السماوات والأرض مُفتقرون إليه، فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم، ويسأله أهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم.

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.
(٢) رواه أحمد وغيره بسند حسن.

﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٠ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾

ويُنْصَب ﴿كُلَّ يَوۡمٍ﴾ ظرفًا لما دَلَّ عليه قوله: ﴿هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ أي: كُلَّ وقتٍ وحينٍ يُحْدِثُ أُمورًا، ويُجَدِّدُ أهوالًا، كما رُوي أنَّه ﷺ تَلَاها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: «مِنْ شأنه أنْ يَغفر ذنبًا، ويُفَرِّجَ كَرْبًا، ويرفعَ قومًا، ويضع آخرين»[1].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ مستعارٌ من قول الرجل لمن يَتَهَدَّده: سأفرُغ لك، يريد: سأترك للإيقاع بك كل ما يَشغلني عنك، والمراد: التَّفرغ للنِّكاية به، والانتقام منه.

ويجوز أن يُراد: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخَلْق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، فلا يبقى إلا شأنٌ واحدٌ وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المَثَل.

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجنُّ سُمِّيا بذلك؛ لأنَّهما ثَقَّلا الأرض ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ هو كالتَّرجمة لقوله ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾ أي: إنْ قدرتم أنْ تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هربًا من قضائي فاخرجوا[2]، ثُمَّ قال: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تَقْدِرون على النُّفُوذ ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ بقوةٍ، وقهرٍ، وغلبةٍ، وأنَّى لكم ذلك؟

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره بسند حسن.
(٢) قوله: ﴿فَٱنفُذُواْ﴾ الأمر للتعجيز.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾

وقيل: يُقال لهم هذا يوم القيامة حين تنظر إليهم الملائكة، فإذا رآهم الجنُّ والإنْسُ هربوا، فلا يأتون وجهًا إلَّا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ اللَّهب الخالص ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ أي: دخان، والمعنى: إذا خرجتم من قبوركم يُرسَلُ عليكما لَهَبٌ خالِصٌ من النَّار، ودخانٌ ليسُوقَكم إلى المحشر ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ فلا تُمْنعان منهما ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

أهوال يوم القيامة:

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ انفكَّ بعضها من بعض لقيام السَّاعة ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ فصارت كلَون الورد الأحمر، وقيل: أصل لون السماء الحُمْرة، ولكنْ مِنْ بُعدِها تُرى زرقاء ﴿ كَٱلدِّهَانِ ﴾ كَدِهن الزَّيْت، وهو جمعُ دِهْن، وقيل: (الدِّهان) الأَدِيمُ الأحمر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: فيومَ تَنشقُّ السَّماء ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ أي: ولا جِنٌّ، فوضع الجانَّ الذي هو أبو الجنِّ موضعَ الجِنِّ؛ كما يقال: هاشم، ويراد ولده، والتقدير: لا يُسأل إنسٌ ولا الجانُّ عن ذنبه، والتَّوفيق بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[2]

(١) سورة الحجر. الآية: ٩٢.
(٢) سورة الصافات. الآية: ٢٤.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾

أنَّ يوم القيامة يومٌ طويل وفيه مواطن كثيرة، فيُسألون في موطن ولا يُسألون في آخر، وقال قَتَادة: قد كانت هناك مسألةٌ، ثُمَّ خُتم على أفواه القوم، وتكَلَّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل: ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ ﴾ سؤالَ عِلْمٍ، ولكن يُسْأل سؤالَ توبيخ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ بسوادِ وُجوهِهِم، وزُرْقَةِ عُيونِهم ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ أي: يؤخذ تارةً بالنواصي وهي مُقدِّمة الرؤوس، وتارةً بالأقدام ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ماءٌ حارٌّ قد انتهى حَرُّه، أي يُعَاقبُ عليهم بين التَّصلية بالنَّار، وبين شُرْب الحَمِيم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ والنَّعمة في هذا: نجاة النَّاجي من هذا العذاب بفضله ورحمته، وتنبيهه على عدم فعل ما يُؤدِّي إليه.

فضل الخائفين من اللَّه وجزاؤهم:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ موقِفَه الذي يَقف فيه العباد للحساب يوم القيامة، فترَك المعاصي، وأدَّى الفرائض، وقيل: المعنى: خاف ربَّه، كما يقال: نَفْيتُ



﴿ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾

عنه مقامَ الذِّئب، والمراد: نَفَيْتُ عنه الذِّئب[١] ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ جنَّةٌ الإنس وجنَّةٌ الجنِّ؛ لأنَّ الخطاب للثَّقلين، وكأنَّه قيل: لكل خائف منكما جنَّتان، جنَّةٌ للخائف الإنسيِّ، وجنَّةٌ للخائف الجنيِّ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾أغصان، جمع فَنَن، وخَصَّ الأفنان؛ لأنَّها هي التي تُورِقُ وتُثْمِر، فمنها تمتدُّ الظِّلال، ومنها تُجتنى الثِّمار، وقيل: ﴿ أَفۡنَانٖ ﴾ أي: ألوان، جمع فَنّ، أي: له فيها ما تشتهي الأنْفُس وتلذُّ الأعين ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.﴿ فِيهِمَا ﴾ في الجنتين ﴿ عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل، وعن الحسن تجريان بالماء الزُّلال: إحداهما التَّسنيم والأخرى السَّلْسَبيل ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾صِنفان، صِنفٌ معروفٌ لهم، وصِنفٌ غريبٌ عنهم[٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ نُصِب على المدح للخائفين، أو: حال منهم؛ لأنَّ ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ ﴾ في معنى الجمع ﴿ عَلَىٰ فُرُشِۢ ﴾ جمع: فِراش ﴿ بَطَآئِنُهَا ﴾ جمع: بِطانة ﴿ مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ ﴾ ديباج ثَخين، وهو مُعرَّب[٣].

قيل: ظاهر الثِّياب من سُنْدُسٍ، وقيل: لا يعلمها إلا اللَّه ﴿ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ وثَمرُها قريبٌ يناله القائمُ، والقاعد، والمُتكئ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ فِيهِنَّ ﴾ في الجنَّتين؛ لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس، أو: في هذه الآلاء المعدودة من الجنَّتين، والعينين، والفاكهة، والفُرُش، والجَنْيُ ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾

---

(١) (مقام) مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل، أي: ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقبا له حافظا لأحواله، ويجوز أن يكون (مقام) اسم مكان، والمراد به: مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب.
(٢) أو رطب ويابس، وهما في الفضل سواء.
(٣) أي أصل الكلمة غير عربي، ولكن العرب استعملتها فأصبحت عربية بالاستعمال فهي معربة.



﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ مُدۡهَآمَّتَانِ ٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾

نساء قَصَرْنَ أبصارهُنَّ على أزواجهنَّ، لا يَنْظُرْن إلى غيرهم ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ الطَّمْثُ: الجِمَاع بالتَّدْمِيَة[1] ﴿إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ وهذا دليلٌ على أنَّ الجنَّ يَطْمِثُون كما يَطْمِثُ الإنس ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ بياضًا، فهو أبيض من اللؤلؤ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ في الثواب.

وقيل: ما جزاء مَنْ قال: لا إله إلا اللَّه إلا الجنَّة، وعن إبراهيم الخَوَّاص قال فيه: هل جزاء الإسلام إلَّا دار السَّلام ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومِنْ دون تلك الجنَّتين الموعودتين للمُقرَّبين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لِمَنْ دونهم مِنْ أصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ سوداوان من شدَّة الخُضْرة، قال الخليل: الدُّهْمة: السَّواد ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء لا تنقطعان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ﴾ أنواع الفواكه ﴿وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ والرُمَّانُ والتَّمْرُ ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رحمه الله لمجيء حرف العطف؛ ولأنَّ التَّمر فاكهةٌ وغذاءٌ، والرُمَّان فاكهةٌ ودواءٌ، فليسا للتَّفكُّهِ وحده، وقيل: إنَّما عُطِفا

---

(١) أصل الطمث خروج الدم، ولذلك يقال للحيض طمث، ثم أطلق على جماع الأبكار لما فيه من خروج الدم غالبا ثم عمم على كل جماع.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

على الفاكهة؛ لفضلهما كأنَّهما جنسان آخران لِما لهما مِنْ المَزِيَّة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ أي: خَيِّراتٌ فَخُفِّفَت، والمعنى: فَاضلاتُ الأخلاق، حِسَانُ الخَلْقِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ أي: مُخَدَّراتٌ ـ مُلازِمَات للبُيوت مُلازَمَةَ تَعَفُّفٍ وصِيَانةٍ، يقال: امرأةٌ قصيرةٌ ومَقْصورةٌ، أي: مُخدَّرة، وقيل: الخِيامُ مِنْ الدُّرِ المُجَوَّف ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل أصحاب الجنَّتين، ودَلَّ عليهم ذِكْرُ الجنَّتين ﴿وَلَا جَآنّٞ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ نُصِبَ على الاختصاص ﴿عَلَىٰ رَفۡرَفٍ﴾ هو كُلُّ ثَوْبٍ عريض، وقيل: الوسائد ﴿خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ ديباج، أو طَنَافِس جمع طُنْفُسة، وهي البِسَاط ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وإنَّما كانت صفاتُ هاتين الجنَّتين دون صفات الجنَّتين الأُوليَيْن، حتى قيل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾؛ لأنَّ ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ دون ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾، و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ دون ﴿تَجۡرِيَانِ﴾، و﴿فَٰكِهَةٞ﴾ دون﴿كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾، وكذلك صفة الحُور والمُتَّكأ.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ﴾ ذي العظمة، وهو صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾، وقرأ ابنُ عامر: (ذو الجلال) بالرَّفع على أنَّه صفةٌ للاسم ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ لأوليائه بالإنعام.

عن جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا قرأ رسول اللَّه ﷺ سورة (الرَّحمن) على أصحابه حتى فَرَغ قال: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا



قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْـحَمْدُ»[1] .

من الأسرار البلاغية:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ على الرَّأي القائل بأنَّ النَّجم مرادٌ به نجوم السَّماء، يكون هناك استعارةٌ تصريحيّةٌ، حيث شبَّه النَّجم والشَّجر في انقيادهما لأمر اللَّه، بالسَّاجد الذي ينقاد لأمر ربه.

ـ كرَّر لفظ ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾ تشديدًا للتَّوصية به، وتأكيدًا لضرورة استعماله.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ تشبيهٌ، فقد شبَّه السُّفُن وهي تَشُقُّ أمواج البحر بالجبال الضَّخمة الطَّويلة.

ـ في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ استعارةٌ من قول الرَّجُلِ لمن يتهدَّده: سأَفْرُغُ لك، أي: سأترك كل ما يَشْغلُني عن الإيقاع بك.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الحاكم بسند صحيح.

بعض ما يُستفاد من السُّورة الكريمة:

١ـ نِعَمُ اللَّه على خَلْقه عظيمةٌ، لا تُعدُّ ولا تُحصى.

٢ـ من أعظم نِعَمِ اللَّه على الإنسان نِعْمة الدِّين.

٣ـ من الواجب على المسلم إقامة العَدْل في الأرض.

٤ـ دلائل قدرة اللَّه في الكون، تُلزِمُنا بالإقرار بوحدانيَّته وربوبيَّته.

٥ـ لا يستطيع أحدٌ من الخَلْق أن يَنْفُذَ من قبضة الخالق سبحانه.

٦ـ ليوم القيامة أهوالٌ تتغيَّر بها طبيعة الكون.

٧ـ يُعذَّبُ أهلُ الكُفر عذابًا فيه ذِلَّةٌ وهوان.

٨ـ أعدَّ اللَّه لِمنْ حقَّقَ مقام الخوف منه ما تشتهي نفسُه، وتلذُّ عينُه.

❊ ❊ ❊



الأسئلة

س١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾؟ وما معنى ﴿ٱلْبَيَانَ﴾؟ وما إعراب هذه الجُمل: (﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ـ ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾)؟ ولماذا جاءت بدون حرف العطف؟

س٢: هل هناك تعارضٌ بين قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾ وقوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[1] وغيرها من الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان؟ وضِّح ذلك؟ ولماذا كرَّر لفظ ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾؟.

س٣: كيف توفِّق بين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وبين قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؟ وما إعراب ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾؟ وما معنى ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾؟

س٤: لماذا تكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ومن المخاطب بهذا القول الكريم؟

س٥: وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾.

ـ قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

---

(١) سورة الحجر. الآية: ٢٨.



سورة الواقعة

(مكية وهي: سبع وتسعون آية)

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾

أصناف الناس يوم القيامة:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. وقيل: وُصِفَتْ بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة. ونُصِبَتْ ﴿إِذَا﴾ بإضمار اذكر ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على اللَّه، وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ترفع أقوامًا وتضع آخرين ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء، وهو بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: وفتّت حتى تعود كالسَّوِيق[1]، أو: سيقت مِنْ بسَّ الغنم: إذا ساقها كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾[2] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ متفرقًا ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾ صنفان في الجنة، وصنف في النار. ثم فسّر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ، وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر المبتدأ الأول، وهو تعجب من حالهم

---

(١) السويق طعام يتخذ من مدقوق الحنطة أو الشعير. كذا في المعجم.

(٢) سورة النبأ. الآية: ٢٠.



﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٨﴾ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

في السعادة، وتعظيم لشأنهم، كأنه قال: ما هم؟ وأي شيء هم؟ ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ أي: الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم، أو: أصحاب المنزلة السَّنِيَّة، وأصحاب المنزلة الدَّنِيَّة الخسيسة، من قولك: فلان مني باليمين، وفلان مني بالشمال: إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة. وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال ﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ أي: أيُّ شيء هم؟ وهو تعجيب من حالهم في الشقاء.

السابقون صفاتهم وجزاؤهم:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ خبره، تقديره: السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات، وقيل: الثاني تأكيد للأول، والخبر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾، والأول أَوْجَه ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: هم في جنات النعيم ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ أي: هم ﴿ ثُلَّةٞ ﴾، والثلة: الأُمَّة من الناس الكثيرة، والمعنى: أن السابقين كثير ﴿ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾. وهم: أمة محمد ﷺ ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ ﴾ جمع سرير، كَكَثِيب وكُثُب ﴿ مَّوۡضُونَةٖ ﴾ أي: منسوجة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ حال من الضمير في ﴿ عَلَىٰ ﴾ وهو العامل فيها، أي: استقروا عليها ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ ﴿ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ أي: ينظر بعضهم في وجوه بعض، ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وُصفوا بحسن العشرة، وتهذيب

﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ ﴾

الأخلاق، وصفاء المودة، و﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ حال أيضًا ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يخدمهم ﴿ وِلۡدَٰنٞ ﴾ أي: غلمان. جمع: وليد ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ باقون أبدًا على شكل الولدان، لا يتحولون عنه. وقيل: مُقَرَّطُونَ. والخَلَدَة: القُرْط ﴿ بِأَكۡوَابٖ ﴾ جمع: كوب، وهي آنية لا عُرْوَة لَهَا، ولا خرطوم ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ جمع: إبريق، وهو ماله خرطوم وعروة ﴿ وَكَأۡسٖ ﴾ أي: وقَدَح فيه شراب، وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ﴿ مِّن مَّعِينٖ ﴾ من خمر تجري من العيون ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يصدر صداعهم عنها، أو: لا يُفَرَّقون عنها ﴿ وَلَا يُنزَفُونَ ﴾ ولا يسكرون، نُزِف الرجل: ذهب عقله بالسكر. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ أي: لا ينفد شرابهم، يقال: أنزف القوم: إذا فني شرابهم ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي: يأخذون خيره وأفضله ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ يتمنون ﴿ وَحُورٌ ﴾ جمع: حَوْراء ﴿ عِينٞ ﴾ جمع: عَيْناء. أي: وفيها حور عين، أو: ولهم حور عين، ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿ وِلۡدَٰنٞ ﴾، وقرأ (وحُورٍ) بالجر، يزيد وحمزة والكسائي عطفًا على ﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، كأنه قال: هم في جناتِ النعيمِ وفاكهةٍ ولحمٍ وحورٍ ﴿ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ﴾ في الصفاء، والنقاء ﴿ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴾ المصون ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿ جَزَآءَۢ ﴾ مفعول له، أي: يفعل بهم ذلك كلّه لجزاء أعمالهم، أو: مصدر (مفعول مطلق). أي: يجزون ﴿ جَزَآءَۢ ﴾ ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ لَغۡوٗا ﴾ أي: باطلًا ﴿ وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾ أي: هذيانًا ﴿ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ ﴾

أي: إلا قولًا ذا سلامة، والاستثناء منقطع، و﴿ سَلَٰمٗا ﴾ بدل من ﴿ قِيلٗا ﴾، أو: مفعول به لـ﴿ قِيلٗا ﴾ أي: لا يَسْمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا، والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلامًا بعد سلام.

أصحاب اليمين وجزاؤهم:

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴾ السدر: شجر النبق والمخضود: الذي لا شوك له، كأنما نُزِع شوكه ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ الطلح: شجر الموز، والمنضود: الذي بعضه فوق بعض من أسفله إلى أعلاه؛ فليست له ساق بارزة ﴿ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾ أي: ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴾ أي: جارٍ بلا حَدٍّ ولا خَدٍّ، أي: تجرى على الأرض في غير شَقٍّ ﴿ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴾ أي: كثيرة الأجناس ﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٖ ﴾ أي: لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا، بل هي دائمة ﴿ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴾ أي: لا تمنع عن متناولها بوجه ﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴾ أي: رفيعة القدر، أو: جُعل بعضها فوق بعض حتى ارتفعت، أو: مرفوعة على الأَسِرَّة. وقيل: هي النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش، و﴿ مَّرۡفُوعَةٍ ﴾ أي: على الأرائك؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[1] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴾ أي: ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة، فإمَّا أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن، أو اللاتي أعيد

---

(١) سورة يس. الآية: ٥٦.



﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

إنشاؤهن ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ أي: عَذَارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع: عَرُوب، وهي: المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل ﴿ أَتْرَابًا ﴾ أي: مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهن كذلك، واللام في ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ مِنْ صِلَة ﴿ أَنشَأْنَا ﴾، ﴿ ثُلَّةٌ ﴾ أي: أصحاب اليمين ثلة ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فإن قلت: كيفَ قال قبل هذا ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ثم قال هنا ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾؟ قلت: ذاك في السابقين، وهذا في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعًا، وعن الحسن: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأُمم مثل تابعي هذه الأمة.

أصحاب الشمال وجزاؤهم:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ الشمال والمشأمة واحد ﴿ فِى سَمُومٍ ﴾ أي: في حر نار ينفذ في المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ أي: وماء حار متناهي الحرارة ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ أي: من دخان أسود ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ نفي لصفتي الظل عنه؛ يريد أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال، سماه ظلًّا ثم نفى برد الظل ورَوْحه وَنفْعه مَنْ يأوي إليه مِنْ أذى الحر - وذلك كَرَمُه - ليُبْطِل ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى: أنه ظل حار ضار ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ مُنَعَّمِين؛ فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ ﴾ يداومون ﴿ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي: على الذنب العظيم، أو على

﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾

الشرك؛ لأنه نقض عهد الميثاق، والحِنث: نقض العهد المؤكد باليمين، أو: الكفر بالبعث، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ ﴾[1] ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴾ تقديره: أنبعث إذا متنا، وهو العامل في الظرف، وجاز حذفه؛ إذ ﴿لَمَبۡعُوثُونَ ﴾ يدل عليه، ولا يعمل فيه ﴿لَمَبۡعُوثُونَ ﴾؛ لأن ﴿إِنَّ ﴾ والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ﴿ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف، وحسن العطف على المضمر في ﴿لَمَبۡعُوثُونَ ﴾ من غير توكيد بنحن؛ للفاصل الذي هو الهمزة، كما حسن في قوله: ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[2] لفصل «لا» المؤكدة للنفي ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ أي: إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى: من، كخاتم فضة. والميقات: ما وُقِّتَ به الشيء، أي: حد، ومنه مواقيت الإحرام. وهي: الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا مُحرِمًا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ عن الهُدى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ﴾ ﴿مِّن ﴾: لابتداء الغاية ﴿مِّن زَقُّومٖ ﴾ ﴿مِّن ﴾: لبيان الشجر ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ أنث ضمير الشجر على المعنى فى (منها)، وذكَّره على اللفظ في ﴿عَلَيۡهِ﴾ ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴾ هي: إبل عطاش لا تُروَى. جمع: أَهْيَم

---

(١) سورة النحل. الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأنعام. الآية: ١٤٨.

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾

وهَيْماء، والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمُهْل، فإذا ملأوا منه البطون، سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم، الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم، وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين ـ وهما لذوات متّفقة وصفتين متفقتين ـ؛ لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضًا؛ فكانتا صفتين مختلفتين ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ ﴾ النُزُل: هو الرزق الذي يُعَدُّ للنازل تكرمة له ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ يوم الجزاء.

براهين البعث:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا ﴾ فهلّا ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخلق؛ لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لمَّا كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به، وإما بالبعث؛ لأن من خلق أولًا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ ما تمنونه؛ أي: تقذفونه في الأرحام مِن النُّطفَ ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ ﴾ تقدّرونه، وتصورونه، وتجعلونه بشرًا سويًا ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ تقديرًا، وقسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلافٍ وتفاوتٍ، كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ سبقته بالشيء: إذا أعجزته عنه، وغلبته عليه، فمعنى قوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه،



﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع: مِثْل. أي: على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها، وما عهدتم بمثلها، يعني: أنا نقدر على الأمرين جميعًا، على خلق ما يماثلكم، وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم؟ ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع: مَثَل. أي: على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات لا تعلمونها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على شيء مرة لم يمتنع عليه ثانيًا، وفيه دليل صحة القياس؛ حيث جَهَّلَهُمْ في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تحرثونه من الطعام، أي: تثيرون (أرضه) وتلقون فيها البذر ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبِتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ﴾ المُنبِتون، وفي الحديث: «لا يَقُولَنَّ أحدكم: زرعتُ، وليقل: حرثت»[1] ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا متكسرًا قبل إدراكه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تَعَجَّبُون، أو: تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو: تندمون على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها ﴿إِنَّا﴾ أي: تقولون ﴿إِنَّا﴾ ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ لَمُلْزِمون غرامة ما أنفقنا، أو: مُهْلَكُون لهلاك رزقنا، من: الغَرَام، وهو: الهلاك[2] ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ أي: لا حظّ لنا، ولا بخت لنا.

---

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان والبزار والبيهقي.

(٢) الغرام هو التعلق بالشيء تعلقًا لا يستطاع التخلص منه، والغرام: العذاب الدائم الملازم، وصدق الله ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴾ أي: الماء العذب الصالح للشرب ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ ﴾السحاب الأبيض، وهو أعذب ماء ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ بقدرتنا؟ ﴿ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا ﴾ ملحًا، أو: مُرًّا لا يُقدر على شربه ﴿ فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴾ فهلا تشكرون، ودخلت اللام على جواب ﴿ لَوۡ ﴾ في قوله:﴿ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا ﴾ ونزعت منه هنا؛ لأن ﴿ لَوۡ ﴾ لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تَعلُّق الجزاء بالشرط، ولم تكن مُخْلَصَة للشرط كإن، ولا عاملة مثلها، افتقرت في جوابها إلى ما يكون علامةً على هذا التعلق؛ فزيدت هذه اللام؛ لتكون علامةً على ذلك، ولَمَّا عُلم كونها علامة على هذا التعلق في قوله: ﴿ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا ﴾ لم يبالِ بإسقاطها في قوله: ﴿ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا ﴾؛ لعلم كل أحد به وتساوى حالي حذفه وإثباته؛ لأن تقدُّم ذكرها والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكرها ثانية؛ ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشدُّ وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يُحتاج إليه تبعًا للمطعوم؛ ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴾ أي: توقدون ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴾ الخالقون لها ابتداءً ﴿ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا ﴾ أي: النار ﴿ تَذۡكِرَةٗ ﴾ تذكيرًا بنار جهنم، حيث علقنا بها أسباب المعاش، وعممنا بالحاجة إليها البلوى؛ لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها، ويذكرون ما أوعدوا به ﴿ وَمَتَٰعٗا ﴾ ومنفعة ﴿ لِّلۡمُقۡوِينَ ﴾ أي: للمسافرين النازلين في القَوَاء، وهي: الخلاء من الناس، أو:

﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾

للذين خلت بطونهم، أو مزاودهم من الطعام، من قولهم: أقْوَت الدار إذا خلت من ساكنيها، وقد بدأ بذكر خلق الإنسان فقال: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴾؛ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما به قوامه، وهو: الحَبُّ، فقال: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴾، ثم بما يُعجن به، ويُشرب عليه وهو: الماء، ثم بما يُخبز به وهو: النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة، ولا يستغني عنه الجسد ما دام حيًا ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ فنزِّه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل، أو: أراد بالاسم الذكر، أي: سبح بذكر ربك ﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ صفة للمضاف، أو للمضاف إليه، وقيل: قل: سبحان ربي العظيم، وجاء مرفوعًا: أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»[1].

صِدق القرآن:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ أي: فأقسم، و﴿ لَا ﴾ مزيدة مؤكدة[2]، مثلها في قوله: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[3] ولا يصح أن تكون اللام لام القسم؛ لأن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة ﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ بمساقطها ومغاربها، ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالًا مخصوصة عظيمة، أو: للملائكة عبادات موصوفة، أو: لأنه وقت قيام المتهجدين، ونزول الرحمة والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ وهو اعتراض في اعتراض؛ لأنه اعترض به بين القسم

---

(١) حديث حسن رواه أحمد وغيره.

(٢) المراد ـ كما سبق ـ زيادة إعراب لا زيادة معنى.

(٣) سورة الحديد. الآية: ٢٩.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤﴾

والمُقْسم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ أي: حسن مرضي، أو: نفّاع جمّ المنافع، أو: كريم على اللَّه، واعترض بـ ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مَّكۡنُونٖ﴾ مصون عن أن يأتيه الباطل، أو: من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه مَن سواهم ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ مِنْ جميع الأدناس، أدناس الذنوب وغيرها إن جَعَلْتَ الجملةَ صفةً لـ ﴿كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾، وهو اللوح، وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسَّه إلا مَنْ هو على الطهارة من الناس، والمراد: مسّ المكتوب منه ﴿تَنزِيلٞ﴾ صفة رابعة للقرآن، أي: مُنَزَّلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أو: وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب اللَّه، فكأنه في نفسه تنزيل، ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل، أو: هو ﴿تَنزِيلٞ﴾ على حذف المبتدأ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ متهاونون به، كمن يُدْهن في بعض الأمر، أي: يلين جانبه، ولا يتصلب فيه تهاونًا به ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، أي: وضعتم التكذيب موضع الشكر، وقيل: نزلت في الأنواء[1]، ونسبتهم السقيا إليها (رواه مسلم)[2]، والرزق: المطر، أي: وتجعلون شكر ما يرزقكم اللَّه من الغيث أنكم تكذبون بكونه من اللَّه حيث تنسبونه إلى النجوم ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس، أي: الروح عند الموت ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ ممر الطعام والشراب ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ الخطاب لمن حضر

---

(١) الأنواء جمع نوء، والنوء النجم إذا مال للغروب.

(٢) ونص الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾.



﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٌ وَرَيۡحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾

الميتَ تلك الساعة ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ ﴾ إلى المحتضر ﴿مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴾ لا تعقلون ولا تعلمون ﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴾ مربوبين من: دان السلطان الرعية: إذا ساسهم ﴿ تَرۡجِعُونَهَآ ﴾ تردون النفس، وهي الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أنكم غير مربوبين مقهورين ﴿ فَلَوۡلَآ ﴾ في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلًا، وهو قوله: ﴿ تَرۡجِعُونَهَآ ﴾ واكتفى بذكره مرة، وترتيب الآية: ﴿ فَلَوۡلَآ ﴾ ترجعونها ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴾ إن كنتم غير مدينين، و﴿ فَلَوۡلَآ ﴾ الثانية مكررة للتأكيد ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ ﴾ يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا، أو: بملائكة الموت، والمعنى: أنكم في جحودكم آيات اللَّه في كل شيء: إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم: سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولًا صادقًا قلتم: ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم: صَدَقَ نَوْءُ كذا، على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل، فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثـمَّـة قابض، وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد؟! ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾ المتوفَّى ﴿ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ من السابقين ﴿ فَرَوۡحٌ ﴾ فله استراحة ﴿وَرَيۡحَانٌ ﴾ ورزق ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين. أي يسلمون عليك، كقوله: ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[1] ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ هم الصنف

---

(١) سورة الواقعة. الآية: ٢٦.

﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

الثالث من الأزواج الثلاثة، وهم الذين قيل لهم في هذه السورة: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾[1] ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أي: إدخال فيه، وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملة واحدة، وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين؛ لأنهم غير مكذبين ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الذي أُنزل في هذه السورة ﴿ لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: الحق الثابت من اليقين ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾. والله أعلم.

* * *

(١) سورة الواقعة. الآية: ٥١.

من الأسرار البلاغية:

ـ الطباق بين ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، وبين ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، و﴿ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، وبين ﴿خَافِضَةٞ﴾، و﴿رَّافِعَةٌ﴾.

ـ في قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ إسناد الخفض والرفع إِلى القيامة مجاز عقلي؛ لأن الخافض والرافع على الحقيقة هو اللَّه وحده، يرفع أولياءه ويخفض أعداءه، ونسب إِلى القيامة مجازًا، كقولهم: «نهاره صائم».

ـ في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ تشبيه مرسل مجمل، أي: كأمثال اللؤلؤ في بياضه وصفائه، حذف منه وجه الشبه، فهو مرسل مجمل.

ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ تفخيم وتعظيم؛ حيث كرَّره بطريق الاستفهام تفخيمًا.

ـ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ تأكيد للمدح بما يشبه الذم؛ لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم، فهو مدح لهم بإِفشاء السلام، وهذا كقول القائل: «لا ذنب لي إلا محبتُك».

ـ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ تهكُّم واستهزاء، أي: هذا العذاب أول ضيافتهم يوم القيامة، ففيه سخرية وتهكم بهم؛ لأن النُزُل هو أول ما يقدم للضيف من الكرامة.

ـ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ التفات من الخطاب إِلى الغيبة، وذلك للتحقير من شأنهم، والأصل: هذا نُزُلُكُمْ.

ـ في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراض؛ لأنه



اعترض بالآية الكريمة بين القسم ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾؛ للفت الأنظار إلى أهمية القسم. واعترض بـ ﴿ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ بين الموصوف ﴿ لَقَسَمٞ ﴾ وصفته ﴿ عَظِيمٌ ﴾ للتهويل من شأن القسم.

لطيفَة:

المناسبة بين المُقْسَم به وهو: النجوم، وبين المقسم عليه وهو: القرآن في قوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾: أنَّ النجوم جعلها اللَّه ليهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والضلالة، وتلك ظلمات حسية، وهذه ظلمات معنوية، فالقسم جاء جامعًا بين الهدايتين: الحسية للنجوم، والمعنوية للقرآن، فهذا وجه المناسبة. واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊



بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ـ وقوع القيامة حقٌّ ثابتٌ لا ريب فيه، لا يستطيع أحد تكذيبه عند حدوثه كما كان يحصل في الدنيا.

٢ـ القيامة ترفع أقوامًا وهم أولياء اللَّه إلى الجنة، وتخفض آخرين وهم أعداء اللَّه إلى النار.

٣ـ أصناف الناس يوم القيامة ثلاثة: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون.

٤ـ السابقون المقربون هم جماعة من الأمم الماضية، وقليل مِمَّنْ آمن بمحمد ﷺ، لأنَّ الأنبياء المتقدمين كثيرون، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا.

٥ـ تقرير صحة القياس؛ حيث جَهَّلَهُم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

٦ـ أصناف الناس عند الاحتضار ثم الوفاة ثلاثة: المقربون السابقون، وأهل اليمين، وأهل الشمال.

٧ـ الكفر كله ملة واحدة، وأصحاب الكبائر من أهل اليمين؛ لأنهم غير مكذبين.



الأسئلة

س١ : ما معنى ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾؟ ولم نصبت ﴿إِذَا﴾؟ وما معنى ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؟ وما المراد من قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾؟

س٢ : ما إعراب ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؟ وما معناه؟ وما الثُّلّة؟ وما المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾؟ وما معنى ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾؟ وما إعراب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾؟

س٣ : ما السدر؟ وما معنى ﴿مَّخْضُودٍ﴾؟ وما الطلح؟ وما معنى ﴿مَّنضُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿مَّمْدُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿مَّسْكُوبٍ﴾؟ وما المراد بالفرش المرفوعة؟ وما معنى ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾؟.

س٤ : لماذا أقسم اللّٰه على جلال القرآن وأنه من اللوح المحفوظ وتنزيل رب العالمين؟

س٥ : وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

ـ قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

ـ قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾.

ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

س٦ : بين وجه التناسب بين أول السورة وآخرها.

س٧ : اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.



سورة الحديد
(مكية وهي: تسع وعشرون آية)

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

تسبيحُ اللّه وتنزيهه:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ جاء في بعض فواتح السور ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي، وفي بعضها ﴿يُسَبِّحُ﴾ بلفظ المضارع، وفي سورة بني إسرائيل (الإسراء) بلفظ المصدر ﴿سُبْحَٰنَ﴾[1]، وفي الأعلى بلفظ الأمر ﴿سَبِّحِ﴾ استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها الأربع: المصدر والماضي والمضارع والأمر؛ للإشعار بأنَّ التسبيح لا يكون إلا لله.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما يتأتى منه التسبيح ويصح ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنتقم من مُكلَّفٍ لم يُسبِّح له عنادًا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في مجازاة مَنْ سبَّح له انقيادًا.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿يُحْيِۦ﴾ في محل رفع أي: هو يحيي الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء، أو نصب أي: له ملك السموات والأرض مُحييًا ومُميتًا ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كلِّ شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كلِّ شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾؛ لكونه غير مدرك بالحواس، وإن كان مرئيًا[2]، وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه، والباطن الذي بطن كل شيء، أي: علم باطنه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) سورة الإسراء. الآية: ١.
(٢) أي بآثار قدرته المثبوتة في الكون: وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ عن الحسن: من أيام الدنيا، ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل، ولكن جعل الستة أصلًا لتعليم العباد التأني والتثبت في الأمور ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ استولى[1] ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ما يدخل في الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من النبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ من الأعمال والدعوات ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ بالعلم والقدرة عمومًا، وبالفضل والرحمة خصوصًا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيجازيكم على حسب أعمالكم.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد من النهار ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

الحث على الإيمان والإنفاق:

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ يحتمل الزكاة والإنفاق في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني: أنَّ الأموال التي في أيديكم إنَّما هي أموال الله،

---

(١) وقيل: استواء يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل مع العلم بأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾

وإنَّما أعطاها لكم للاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ باللَّه ورسوله ﴿ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾.

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ جملة فعلية في محل نصب على الحال من معنى الفعل في ﴿ مَا لَكُمۡ ﴾ ، أي: وما لكم كافرين باللَّه ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ جملة اسمية في محل نصب على الحال، «والواو»: واو الحال، والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم، فهما حالان متداخلتان ﴿ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ ﴾ أي: وقبل ذلك قد أخذ اللَّه ميثاقكم بقوله تعالى: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾[1]، أو بما ركَّب فيكم من العقول، ومكَّنكم من النظر في الأدلة ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم تريدون الإيمان باللَّه، فبادروا إليه[2].

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ﴾ محمد ﷺ ﴿ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾ يعني: القرآن ﴿ لِّيُخۡرِجَكُم ﴾ اللَّه تعالى، أو محمد بدعوته ﴿ مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ الرأفة أشد الرحمة[3].

﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ ﴾ أي: وما لكم في أن لا تنفقوا ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يرث كلَّ شيءٍ فيهما لا يبقى منه باقٍ لأحد من مال وغيره، يعني: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل اللَّه والجهاد مع رسوله، واللَّه مهلككم فوارث أموالكم.

---

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٧٢.
(٢) والخطاب في هذه الآيات يجوز أن يكون للمؤمنين، ويجوز أن يكون للكافرين، والقول بالعموم أولى لتوبيخ من لم يؤمن، وحث من آمن بالثبات على إيمانه والإنفاق في سبيل الله.
(٣) ويجوز أن يكون معنى الرأفة دفع المكروه والرحمة إيصال المحبوب.

﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾

ثم بيَّن التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ أي: لا تساوي بين منْ أنفق قبل فتح مكة، ومَنْ أنفق من بعد فتحها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح، وهم السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفه»[1].

﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا﴾ أي: كل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: المَثُوبَة الحسنى، وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ﴿وَكُلّٗا﴾ مفعول أول لـ ﴿وَعَدَ﴾، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ مفعول ثانٍ، نزلت في أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنَّه أول مَنْ أسلم، وأول مَنْ أنفق في سبيل اللَّه، وفيه دليلٌ على فضله وتَقَدُّمِهِ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيجازيكم على قدر أعمالكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بطيب نفسه، والمراد الإنفاق في سبيل اللَّه، واستعير لفظ القرض؛ ليدل على التزام الجزاء ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي: يعطيه أجره على إنفاقه أضعافًا مضاعفة من فضله ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أي: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾، أو منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر. ﴿يَسۡعَىٰ﴾ يمضي ﴿نُورُهُم﴾ نور التوحيد والطاعات، وإنَّما قال: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾؛ لأنَّ السعداء يُؤتون صحائف أعمالهم من

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ ﴾

هاتين الجهتين، كما أنَّ الأشقياء يُؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، فيُجعل النور في هاتين الجهتين شعارًا لهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ ﴾ أي: دخول جنات ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾.

حال المنافقين يوم القيامة:

﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ﴾ هو بدل من ﴿ يَوۡمَ تَرَى ﴾ ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا ﴾ أي: انتظرونا؛ لأنَّه يُسْرِعُ بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة ﴿ نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ أي: نلحق بكم فنستنير بنوركم ﴿ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ طَرْدٌ لهم وتَهكُّمٌ بهم، أي: تقول لهم الملائكة، أو المؤمنون: ارجعوا إلى المكان الذي أُعطينا فيه هذا النور فالتمسوه هنالك، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه، وهو الإيمان ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿ بِسُورٖ ﴾ بحائطٍ حائلٍ بين الجنة والنار، قيل: هو الأعراف ﴿ لَّهُۥ ﴾ لذلك السور ﴿ بَابُۢ ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه.

﴿ بَاطِنُهُۥ ﴾ باطن السور، أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ ﴾ أي: النور، أو الجنة ﴿ وَظَٰهِرُهُۥ ﴾ ما ظهر لأهل النار ﴿ مِن قِبَلِهِ ﴾ من عنده، ومن جهته ﴿ ٱلۡعَذَابُ ﴾ أي: الظلمة والنار.

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ ﴾

﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ ﴾ أي: المؤمنون ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ بالنفاق، وأهلكتموها ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ وشككتم في التوحيد ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ طول الآمال، والطمع في امتداد الأعمار ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: الموت ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾، وغرَّكم الشيطان بأنَّ الله عفو كريم لا يُعذبكم، أو غرَّكم بأنَّه لا بعث ولا حساب.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ ﴾ أيها المنافقون ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ أي: ما يُفتدى به ﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مرجعكم ﴿ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ أي: هي أولى بكم ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ النار.

تحذير المؤمنين من الغفلة عما نزل من القرآن:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾ ألم يأتِ وقته ـ من أنى الأمر يأنى إذا جاءه إِنَاهُ ـ أي: وقته.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ﴿ وَمَا ﴾ اسم موصول بمعنى الذي، والمراد بالذكر الذي نزل من الحق: القرآن؛ لأنَّه جامعٌ للأمرين للذكر والموعظة، وأنَّه حقٌّ نازلٌ من السماء ﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ ﴾ ﴿ يَكُونُوا۟ ﴾ معطوف على ﴿ تَخْشَعَ ﴾، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ في قسوة القلوب؛ وذلك أنَّ بني

﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ ﴾

إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلمَّا طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا، وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره ﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ ﴾ الزمن ﴿ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴾ باتباع الشهوات ﴿ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ خارجون عن حدود دينهم، مخالفون للأوامر والنواهي. أي: وقليل منهم مؤمنون. ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ قيل: هذا تمثيلٌ لأثر الذكر في القلوب، وأنَّه يُحييها كما يُحيي الغيثُ الأرضَ. ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ هو اسم فاعل من صدَّق، وهم الذين صدَّقوا اللَّه ورسوله، يعني: المؤمنين ﴿ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ معطوف على معنى الفعل في ﴿ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ ﴾؛ لأنَّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو: اصَّدَّقُوا، كأنه قيل: إنَّ الذين اصَّدَّقوا وأقرضوا، والقرض الحسن: أن يتصدَّق عن طيب نفسٍ وإخلاص نيةٍ على المستحق للصدقة ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾ ثواب جميل، ورزق حسن هو الجنة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ يريد أنَّ المؤمنين باللَّه ورسله هم عند اللَّه بمنزلة الصِّدِّيقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستُشهدُوا في سبيل اللَّه ﴿ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ ﴾ أي: مثل أجر الصِّدِّيقين

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾

والشهداء، ومثل نورهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

جانب من حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ﴾ أي: لا فائدة فيها، كلعب الصبيان ﴿وَلَهۡوٞ﴾ أي: ما يشغل الإنسان عمَّا يعنيه كلهو الفتيان ﴿وَزِينَةٞ﴾ أي: ما يُتزيَّن به، كالمناصب العالية، والمنازل الرفيعة ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ بالألقاب والأمجاد والأنساب، كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ أي: مباهاة بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا﴾ متفتتًا متكسرًا.

شبَّه حال الدنيا في سرعة زوالها بنباتٍ أنبته المطر فاستوى وقوي، وأُعجب به الكُفَّار الجاحدون لنعمة اللَّه فيما رزقهم من المطر والنبات، فبعث عليه الريح فهاج واصفرَّ، وصار حطامًا عقوبةً لهم على جحودهم، وقيل: الكُفَّار هنا الزُّرَّاع؛ لأنَّهم يكفرون البذر في الأرض، أي: يَسْتَرُونَهُ بالتراب.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ للكفار ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ للمؤمنين.

يعني: أنَّ الدنيا وما فيها ليست إلا أُمور حقيرة، وهي اللعب واللَّهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأمَّا الآخرة فليس فيها إلا أمور عظيمة، وهي العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من اللَّه الحميد، والكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ﴾

﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

في محل رفع على أنَّه خبر بعد خبر، أي: الحياة الدنيا مثل غيث ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ لِمَنْ ركن إليها واعتمد عليها.

قال ذو النون: «يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا، وإن طلبتموها فلا تحبوها، فإنَّ الزاد منها والمقيل في غيرها».

ولمَّا حقَّر الدنيا وصغَّر أمرها، وعظَّم أمر الآخرة حثَّ عباده على المسارعة إلى نيل المغفرة المنجية من العذاب الشديد، والفوز بدخول الجنة بقوله:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: سارعوا مسارعة المتسابقين بالأعمال الصالحة إلى ما يوجب المغفرة لكم من ربكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ذكر العرض دون الطول؛ لأنَّ كلَّ ما له عرض وطول، فإنَّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة عُرف أنَّ طوله أبسط ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ هذا دليل على أنَّ الجنَّة مخلوقة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليلٌ على أنَّه لا يدخل أحدٌ الجنة إلا بفضل اللَّه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

الإيمان بالقضاء والقدر:

ثم بيَّن أنَّ كلَّ شيء كائنٌ بقضاء اللَّه وقدره بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الجدب، وآفات الزروع، والثمار، وقوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جار



﴿ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾

ومجرور متعلق بمحذوف، أي: ما أصاب من مصيبة ثابتة في الأرض ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من الأمراض، وموت الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وهو في محل نصب على الحال، أي: إلا مكتوبًا في اللوح ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ من قبل أن نخلق الأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إنَّ تقدير ذلك، وإثباته في كتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وإن كان عسيرًا على العباد.

ثم علَّل ذلك وبيَّن الحكمة فيه بقوله:﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي: لا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ فرح المختال الفخور ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ أي: أعطاكم من الإيتاء، يعني: أنَّكم إذا علمتم أنَّ كلَّ شيءٍ مقدرٌ مكتوبٌ عند اللهَ قلَّ حزنكم على الفائت، وفرحكم بالآتي؛ لأنَّ مَنْ علم أنَّ ما عنده مفقود لا محالة لم يحزن عند فقده؛ لأنَّه وطَّنَ نَفْسَهُ على ذلك، وكذلك مَنْ علم أنَّ بعض الخير واصل إليه، وأنَّ وُصُوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾؛ لأنَّ مَنْ فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه افتخر وتكبَّر به على الناس.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ كأنَّه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد الذين يفرحون الفرح المُطْغِي إذا رُزقوا مالًا وحظًّا من الدنيا ويبخلون به ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ ويحضُّون غيرهم على البخل ويرغِّبونهم في الإمساك ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرض عن الإنفاق، أو عن أوامر

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾

اللَّه ونواهيه، ولم ينته عمَّا نُهي عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن جميع المخلوقات فكيف عنه! ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في أفعاله.

الغاية من بعثة الرسل:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء، وأرسلنا الأنبياء إلي أقوامهم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الوحي ﴿وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: ليتعاملوا بينهم ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل، ولا يظلم أحدٌ أحدًا ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ خلقناه ﴿فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم، وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين، وقال الزجاج: ليعلم اللهُ مَنْ يُقاتل مع رسوله في سبيله ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: غائبًا عنهم في الدنيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ يدفع بقوته بأس مَنْ يُعرض عن ملته ﴿عَزِيزٞ﴾ ينصر بعزته أهل طاعته.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ خصَّ نوحًا وإبراهيم بالذكر؛ لأنَّهما أبوان للأنبياء عليهم السلام ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ في أولادهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ الوحي ﴿فَمِنۡهُم﴾ فمن الذرية، أو من المرسل إليهم ﴿مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ أي: فمنهم مَنْ اهتدى باتباع الرسل، [وكثير منهم فَسَقَ أي: خرج عن الطاعة، وهم الأكثرون].



﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا ﴾

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ أي: بعثنا بعد نوحٍ وإبراهيم ومَنْ مضى من الأنبياء ﴿ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ مودة ولينًا ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ تعطفًا على إخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبي ﷺ: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ هي الانقطاع للعبادة عن الناس، واتخاذ الصوامع في الجبال وغيرها، وهي منصوبة بفعل محذوفٍ يفسره ما بعدها تقديره: وابتدعوا رهبانية ﴿ ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ أي: استحدثوها من عند أنفسهم، ونذروها وليست في دينهم ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ لم نفرضها نحن عليهم، ولا أمرناهم بها ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ استثناء منقطع أي: ولكنَّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان اللَّه ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنَّه عَهْدٌ مع اللَّه لا يَحِلُّ نقضه ﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ أي: أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ كافرون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخطاب لأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﷺ ﴿ يُؤْتِكُمْ ﴾ اللَّه ﴿ كِفْلَيْنِ ﴾ نَصِيبَيْن ﴿ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمَنْ قبله ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ نُورًا ﴾

(١) سورة الفتح. الآية: ٢٩.

﴿تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

﴿تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾[1] ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ أي: ليعلم ﴿أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذين لم يُسلموا، و﴿لَا﴾ هنا زائدة ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾ يعني: لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئًا مِمَّا ذُكر من فضل اللَّه من الكفلين والنور والمغفرة؛ لأنَّهم لم يُؤمنوا برسول اللَّه ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمَنْ قبله، ولم يُكسبهم فضلًا قط ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ﴾ معطوف على ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾ ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ أي: في ملكه وتصرفه ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، واللَّه أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- بين قوله تعالى: ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وكذا بين ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾، وبين ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾ إيجاز بالحذف، حيث حَذَف: ومَنْ أنفق من بعد الفتح وقاتل؛ لدلالة الكلام عليه بعدئذٍ، ولوضوحه.

- في قوله تعالى: ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ استعارة تصريحية، حيث استعار الظُّلُماتِ للكفر والضلالة، والنُّورِ للإيمان والهداية.

---

(١) سورة الحديد. الآية: ١٢.

ـ في قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ استعارة تمثيلية، مثَّل حال المنفق بإخلاص بمَنْ يقرض ربه قرضًا واجب الوفاء.

ـ في قوله تعالى: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ تهكُّم بهم، أي: لا وليَّ لكم ولا ناصر إلا نار جهنم.

ـ بَيْن قوله تعالى: ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ مقابلة.

ـ في قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ استعارة تمثيلية؛ استعار إحياء الأرض بالنبات لإحياء القلوب القاسية بالقرآن وتلاوته.

ـ في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ تشبيه تمثيلي؛ لأنَّ وجه الشبه منتزع من متعدد.

ـ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾ مجاز مرسل علاقته المسببية، أي: إلى سبب مغفرة.

❊ ❊ ❊



بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ ـ كلّ شيء في الأرض والسماء يسبح بحمد اللَّه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[(١)].

٢ ـ وجوب الإيمان باللَّه تعالى ورسوله ﷺ، وهذا يقتضي الاشتغال بطاعة اللَّه تعالى.

٣ ـ الإنفاق في سبيل اللَّه من أعظم الطاعات والقربات.

٤ ـ الملك للَّه وحده، والعبد ليس له في ماله إلا التصرف الذي يرضي اللَّه، فيثيبه على ذلك بالجنة.

٥ ـ للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، والذين أنفقوا في سبيل اللَّه أجرٌ كبيرٌ وهو الجنة.

٦ ـ ثواب الإنفاق أعظم إذا كانت الحاجة إليه أشد بسبب الأزمات والظروف الصعبة.

٧ ـ المنافقون لا يقبل منهم يوم القيامة فدية يدفعون بها العذاب عن أنفسهم، ومقامهم ومنزلهم النار، هي أولى بهم من كل منزل، وساءت مرجعًا ومصيرًا.

٨ ـ تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الآخرة.

٩ ـ كل المصائب معلومة لله تعالى، مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل إيجاد الخليقة، وحفظ ذلك وعلمه هيّن يسير على اللَّه تعالى.

١٠ ـ اللَّه يبغض كل متكبر بما أُوتي من الدنيا، فخور به على الناس، ولا يرضى عنه، ويعاقبه.

---
(١) سورة الإسراء . الآية: ٤٤.

الأسئلة

س١ : ما معنى: الأول، الآخر، الظاهر، الباطن؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؟

س٢ : ما معنى قوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿عَبۡدِهِۦٓ﴾؟ وما الآيات البينات؟

س٣: ما إعراب قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾؟ وما معنى ﴿يَسۡعَىٰ﴾؟ ولِمَ خصَّ أيديهم وأيمانهم بالذكر؟

س٤ : وضِّح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾.

س٥ : بين الحكمة من الإيمان بالقضاء والقدر وأثر ذلك على النفس البشرية.

س٦ : اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

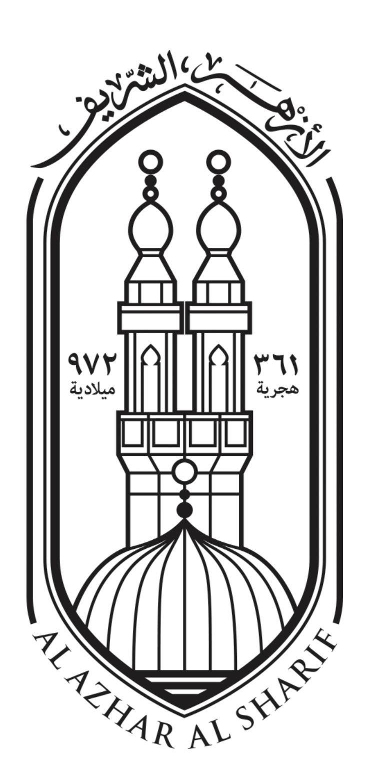
***



قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات


الأزهر الشريف
٩٧٢
ميلادية
٣٦١
هجرية
AL AZHAR AL SHARIF